بحوث المؤتمر الدولي الثالث

(المنجز العربي اللغوي والأدبي في الدراسات الأجنبية)

٢٤-٢٦/٠٣/١٤٤٢هـ، الموافق ١٠-١٢/١١/٢٠٢٠م

بحوث علمية محكمة

قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب

بالتعاون مع جائزة الملك فيصل

بحوث علمية محكمة

المؤتمر الدولي الثالث

(المنجز العربي اللغوي والأدبي في الدراسات الأجنبية)

٢٤-٢٦/٠٣/١٤٤٢هـ، الموافق ١٠-١٢/١١/٢٠٢٠م

قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب، بالتعاون مع

جائزة الملك فيصل

ⓒ جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية، ١٤٤٢ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية اثناء النشر

جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية وآدابها
بحوث المؤتمر الدولي الثالث (المنجز العربي اللغوي والادبي في الدراسات الأجنبية). / جامعة الملك سعود، قسم اللغة العربية وآدابها، جائزة الملك فيصل - الرياض ١٤٤٢ هـ

٩٧٨ ص، ٢١X٢٩.٧ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٧٥-١١-٥

١- اللغة العربية - بحوث ٢- اللغة العربية - مؤتمرات ٣- الأدب العربي - بحوث أ. جائزة الملك فيصل (مؤلف مشترك) ب. العنوان
ديوي ٤١١،٧ ١٤٤٢/٢٠١٠

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٢٠١٠
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٧٥-١١-٥

المحتويات

البحوث	الصفحة
مقدمة رئيس المؤتمر معجب بن سعيد العدواني	
إشكاليات اللزوميات: نحو قراءة جديدة لمشروع أبي العلاء المعري الشعري- لزوم ما لا يلزم قافية الدال مع الباء نموذجًا سوزان بينكيني ستيتكيفيتش	١١
قصيدة البردة في الدرس الاستشراقي حسن البنا عز الدين	٤١
مكانة الشاعر في العصر الجاهلي - وجهة نظر شرقية راشد بن مبارك الرشود	٦٧
المستشرقون وإشكاليات تلقي الشعر العربي القديم: ريجيس بلاشير والمتنبي نموذجًا عبد القادر محمد بن الحسون	٨٩
التراث اللغوي العربي من منظور غربي: حدوده وآفاقه Jonathan Owens	١١٣
المصطلح النحوي العربي عند الأجانب: برجشتراسر وهنري فليش أنموذجًا عبد الله محمد زين بن شهاب	١٣١
الموقف من الأنموذج النحوي العربي في الدراسات الفرنسية المعاصرة محمد خاين	١٥٩
جهود اللساني الفرنسي جورج بهاس في درس وتثمين المنجز اللغوي العربي محمد التاقي	١٨٥
كتاب «سيبويه في الدراسات الغربية المعاصرة» (ميكائيل كارتر نموذجًا) محمد الوحيدي	٢٠٧
قراءة شارل بلا لنثر الجاحظ محمد مشبال	٢٣٣
الفكر خارج ذاته أو رأيان في تجنيس المقامة بسمة عروس	٢٤٥
موقف كراتشكوفسكي من إحدى الدراسات في مجال الآدب العربي القديم رفيقة بن ميسية	٢٦٧
ألف ليلة وليلة رؤية فرنسية سلوى خالد الميمان	٢٨٧
الجاحظ بين المقاربة الاستشراقية والمقاربة المقارنتية مسالتي محمد عبد البشير	٣٠٣
قضايا وتحديات في ترجمة كتاب مائة ليلة وليلة من اللغة العربية إلى اللغة اليابانية أكيكو سومي	٣٣٣
السيرة الذاتية العربية في الدراسات الأجنبية أمل بنت محمد التميمي	٣٤٩
نقل الحكايات العربية القديمة إلى لغة الهوسا بين الترجمة والتوطين طاهر لون معاذ	٣٨٧
جهود المستشرق الفرنسي أندريه ميكيل في دراسة الأدب العربي منال بنت عبد العزيز العيسى	٤٠٥
النقد المقارب: تمفضلاته ورهاناته في دراسة الأدب العربي عند الباحثة البلغارية بيان ريحانوفا نادية هناوي	٤٢٧
رسائل علمية حول الأدب العربي في كلية الإلهيات جامعة أولوداغ – دراسة تحليلية لنماذج مختارة إسلام ماهر عمارة	٤٤٩

رئيس المؤتمر

أ. د. معجب بن سعيد العدواني

رئيس اللجنة العلمية

أ. د. محمد بن عبد الرحمن الهدلق

أمين اللجنة العلمية

أ. د. يوسف بن محمود فجال

أعضاء اللجنة العلميّة

أ.د. إبراهيم بن سليمان الشمسان
أ.د. بسمة محمد الناجي عروس
أ.د. صالح بن معيض الغامدي
أ.د. خالد بن عبد الكريم بسندي
أ.د. مها بنت صالح الميمان
د. عبد الرحمن بن عبد الله الفهد

التحرير

د. عبد الرحمن بن سعود الغنيم
أ. عبدالله بن عبدالوهاب العمري

العنوان:

ص. ب: ٢٤٥٦ - الرياض: ١١٤٥١
هاتف: ٠١١ ٤٦٧٥١٠١
فاكس: ٠١١ ٤٦٧٥٠٩٤
البريد الإلكتروني:
as.de.usk@cibara.awdan

البحوث	الصفحة
المنجز العربي النحوي عند بروكلمان حنان محمد أحمد أبو لبدة	٤٨٣
العربية في العربية ليوهان فك: المفهوم والإجراء خالد بن عبد الكريم بسندي	٤٩٩
إنجازات المستشرقين في نشر التراث اللغوي ودراسته وأثرها في الإنجازات العربية بعدها عبد العزيز بن حميد بن محمد الحميد	٥٢١
الأنظمة اللغوية للعربية – قراءة في منهج أندري رومان يوسف محمود فجال	٥٤٩
أندريه ميكيل وجهوده في التعريف بالأدب والثقافة العربيين حسن الطالب	٥٧١
الرواية العربية مقدمة تاريخية ونقدية حمد بن سعود البليهد	٥٨٩
مفهوم السيرة الذاتية الغربي وأثره في تلقي الغربيين للسيرة الذاتية العربية سمية عابد العدواني	٦٠٣
صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتاب المستشرق الروماني كونستانس جيورجيو عادل علي محمد الصيعري	٦٢٣
الأسس القرائية في كتاب (الوصف في الشعر العربي الكلاسيكي) للباحثة اليابانية أكيكو سومي عبد العزيز بن عبد الله الخراشي	٦٣٧
سوزان ستيتكيفيتش والقصيدة العربية المدحية مستورة مسفر محمد العرابي	٦٥٥
التحليل النقدي للاستعارة في الخطاب القرآني مراجعات في دراسة جواناثان كارتريز عيد علي مهدي بلبع	٦٧٩
كتاب سيبويه بين المقتضى المعرفي والمقتضى الكوديكولوجي في الدراسات الغربية البشير التهالي	٧١٩
تناظر العلة النحوية عند سيبويه – مقالة (عشرون درهمًا في كتاب سيبويه) ل م. كارتر أنموذجًا عائشة خضر أحمد هزاع	٧٤١
علم الدلالة العربي في منظور المستشرق الهولندي كيس فرستيخ كيان أحمد حازم	٧٥٩
منجز العلامة عبد العزيز الميمني اللغوي والأدبي ناصر الرشيد	٧٨٧
محاولة ألسنة النحو العربي جوناثان أوينز أنموذجًا يحيى بن أحمد عبد الله اللتيني	٨١١
تلقي الأدب العربي القديم في الاستشراق الروسي (إغناطيوس كراتشوفسكي أنموذجًا) حبيب بوزوادة	٨٣٣
المنجز الأدبي العربي في كتابات الأكاديمي الفرنسي المعاصر أندريه ميكيل حسين تروش	٨٥٣
تلقي المستشرقين الجدد للشعر العربي القديم محمد بن عبد الله منور	٨٧٩
البلاغة العربية في الدراسات الأردية محمد وسيم خان	٨٩٥
سؤال الرواية العربية ونمط القراءة في نقد روجر آلن نضال محمد فتحي الشمالي	٩٣٧
دراسة مصطلحات أدوات الثقافة المادية العربية في أعمال البروفيسور أجيوس محمد ظافر صالح الحازمي	٩٥٥

عِلمُ الدَّلالَةِ العَرَبِيُّ
في مَنظورِ المُستَشرِقِ الهولَندِيِّ كيس فرستيخ

كيان أحمد حازم

أُستاذُ اللُغَةِ والدَّلالَةِ المساعِد في قِسم اللُغَة العربيَّة بكُلية الآداب بجامعة بغداد

مُلَخَّصُ

عُنِيَ عُلَماءُ العَرَبِيَّةِ قَديمًا بِمَعاني الكلامِ ودَلالاتِ النُّصوصِ أَيَّما عِنايَةٍ، بَيدَ أَنَّ كَلامَهُم عليها لَم يُؤَطِّرْهُ إطارٌ مَنهجِيٌّ واضِحٌ، بَل جاءَ مَبثوثًا في كُتُبِ المُفَسِّرِينَ، ورَسائلِ اللُغَوِيِّينَ، ومُؤَلَّفاتِ النَّحوِيِّينَ، ومُصَنَّفاتِ الأُصولِيِّينَ، ولَعَلَّ مَنطِقَ تَطَوُّرِ العُلومِ هوَ الذي أَملى ذلكَ. ومَعلومٌ أَنَّ مِن أَهَمِّ ما أَفادَتْهُ الدِّراساتُ اللِسانيَّةُ الغَربيَّةُ الحَديثَةُ والمُعاصِرَةُ إيجادَ أُطُرٍ مَنهَجِيَّةٍ تَنضَوي فيها جُزئيّاتُ العِلمِ التي كانَت مُوَزَّعَةً مِن قَبلُ في فُروعٍ لِلعِلمِ نَفسِهِ أَو في عُلومٍ مُحاذِيَةٍ مُختَلِفَةٍ.

ولَمّا كانَ المُستَشرِقُ الهولَندِيُّ كيس فرستيخ Kees Versteegh أَكثَرَ اللِسانِيِّينَ الغَربِيِّينَ سَعيًا إلى اكتِشافِ إطارٍ مَرجِعِيٍّ شامِلٍ يَلُمُّ شَتاتَ مُعالَجاتِ المَعنى في المَوروثِ العَرَبِيِّ على اختِلافِ مَصادِرِها والعُلومِ التي تَتَناوَلُها ويُمَنهِجُها عَلى وَفقِ مُعطَياتٍ نابِعَةٍ مِن أَرضِيَّةٍ عَرَبيَّةٍ وإسلامِيَّةٍ خالِصَةٍ لا على وَفقِ مُعطَياتٍ غَربيَّةٍ أَملَتْها طَبيعَةٌ لِسانِيَّةٌ مُختلِفَةٌ عَن طبيعَةِ العربيَّةِ، ارتَأَيْتُ أَن أُسهِمَ بِدِراسَتي هذهِ في تَجلِيَةِ مَنظورِهِ لِعِلمِ الدَّلالَةِ العَرَبِيِّ والكشفِ عَن أَدَواتِهِ التي أَعانَتْهُ عَلى ذلكَ، بِتَتَبُّعِ جَميعِ كِتاباتِهِ التي لَها صِلَةٌ بِذلكَ والتي لَم يُتَرجَم مِنها إلّا أَقَلُّ القَليلِ، ومِن اللهِ التَّوفيقُ.

كلِماتُ مِفتاحِيَّة

عِلمُ الدَّلالَةِ العَرَبِيّ، المُفَسِّرونَ، النَّحوِيُّون، البَلاغِيُّون، المَناطِقَة، الأُصولِيُّون.

مُقَدِّمَة

عَلى الرَّغمِ مِن الالتِفاتِ المَلحوظِ في السَّنَواتِ القَليلَةِ الماضِيَةِ إلى كِتاباتِ المُستَشرِقِينَ في الفُروعِ الإنسانيَّةِ عُمومًا وفي الدِّراساتِ اللُغَوِيَّةِ خُصوصًا، ما زالَتْ هُناكَ مساحاتٌ عِلمِيَّةٌ في نَشاطِهِم البَحثِيِّ لَمّا يُلتَفَتْ إلَيها أَو تُستَقْرَ جُهودُهُم فيها. وفي مُقَدِّمَةِ الفُروعِ العِلمِيَّةِ اللُغَوِيَّةِ التي رَأَيْتُ الحَيفَ قَد اكتَنَفَ دِراسَةَ تَناوُلِ المُستَشرِقِينَ لَها في العَرَبِيَّةِ فَرعُ عِلمِ

الدَّلالَةِ؛ فهوَ عَلى أَهمِّيَّتِهِ وعِظَمِ خَطَرِهِ في المنظومَةِ اللُغَوِيَّةِ بِحَيثُ يُمكِنُ القَولُ إنَّهُ ثَمَرَةُ سائرِ فُروعِها وغايَتُها النِّهائيَّةُ، لا نَجِدُ في كِتاباتِ الباحِثِينَ العَرَبِ ما يَشفي غَليلَ الكشفِ عَن جُهودِ المُستَشرِقِينَ في دِراستِهِ في العربيَّةِ.

وقَد لَمَسْتُ في كِتاباتِ المُستَشرِقِ الهولَندِيِّ كيس فرستيخ اهتِمامًا واضِحًا بِعِلمِ الدَّلالَةِ عِندَ العَرَبِ. وتَجَلّى اهتِمامُهُ بِهِ في اتِّجاهَيْنِ؛ أَمّا أَحَدُهُما فكِتابَتُهُ فيهِ فَصلًا حافِلًا في كِتابٍ عُنوانُهُ **ظُهورُ عِلمِ الدَّلالَةِ في أَربَعَةِ مَوروثاتٍ لُغَوِيَّةٍ: العِبريِّ، والسّنسكريتيِّ، واليونانيِّ، والعَرَبيّ The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic**، إذ كَتَبَ القِسمَ الرّابِعَ مِنهُ المُخَصَّصَ لِلمَوروثِ العَرَبيِّ في عِلمِ الدَّلالَةِ؛ وأَمّا الاتِّجاهُ الآخَرُ فتَأليفُهُ كُتُبًا وبُحوثًا ومَقالاتٍ ومَوادَّ مَوسوعِيَّةً كثيرَةً تَدرُسُ بَعضَ جُزئيّاتِ الدَّرسِ الدَّلاليِّ العربيِّ. عَلى أَنَّ قيمَةَ كِتاباتِ فرستيخ في عِلمِ الدَّلالَةِ العربيِّ لا تَنحَصِرُ في وَفرَتِها، بَل إنَّ قيمَتَها الحَقيقيَّةَ لتَكمُنُ في عُمقِها وانتِهاجِها مُقارَبَةً أَصيلَةً في التَّحليلِ لَم يَعرِفْها كثيرٌ مِمّا كُتِبَ في هذا الحَقلِ اللُغَوِيِّ المُهِمِّ.

وعلى الرَّغمِ مِمّا اجتَمَعَ في كِتاباتِ فرستيخ في حَقلِ عِلمِ الدَّلالَةِ العربيِّ مِن وَفرَةٍ وعُمقٍ وأَصالَةٍ، لَم أَجِدْ باحِثًا عَرَبِيًّا التَفَتَ إلى هذا الجانِبِ مِن كِتاباتِهِ اللُغَوِيَّةِ، بَل لَم أَعثُرْ عَلى دِراساتٍ بِالعربيَّةِ تتناوَلُ جُهودَهُ اللُغَوِيَّةَ عُمومًا سِوى الآتي:

١. **قِراءَةٌ نَقدِيَّةٌ في فَرضِيَّةِ كيس فرستيغ حَولَ نَشأَةِ النَّحوِ العَرَبِيّ**، كِتابٌ لِلدُّكتور محيي الدِّين محسب، منشورٌ في ميراناس، في القاهرة، في عامِ ١٩٩٢م. وهذهِ القِراءَةُ هيَ مُقَدِّمَةُ ترجمتِهِ لِفُصولٍ مِن كتابِ فرستيخ **عَناصِرُ يونانِيَّةٌ في الفِكرِ اللُغَوِيِّ العَرَبِيّ** التي حَمَلَتْ عُنوانًا هوَ **الفِكرُ اللُغَوِيُّ بَينَ اليونانِ والعَرَبِ: فُصولٌ مِن كِتابِ المُستَشرِقِ الهولاندِيِّ كيس فرستيغ**، ولا يَخفى بُعدُ مَوضوعِ هذا الكِتابِ عَن مَوضوعِ بَحثِنا الحالِيِّ.

٢. **(اللُغَةُ العَرَبِيَّةُ) تَأليفُ كيس فرستيغ، تَرجَمَةُ محمَّد الشَّرقاويّ: عَرضٌ ونَقد**، لِلدُّكتور عبّاس عليّ السّوسوة، مَقالٌ مَنشورٌ في مَجَلَّة الدِّراسات اللُغَوِيَّة التي يُصدِرُها مركزُ الملك فيصل لِلبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة، في المجلَّد التّاسِع - العدد الثّالث، في رَجَب -رَمَضان ١٤٢٨هـ (يوليه - سبتمبر ٢٠٠٧م). ولا صِلَةَ بينَ العَرضِ النَّقدِيِّ الذي يُقَدِّمُهُ هذا المَقالِ ومَوضوعِ بَحثِنا، كما لا يَخفى.

٣. **قِراءَةٌ في كِتابِ: عَناصِرُ يونانِيَّةٌ في الفِكرِ اللُغَوِيِّ العَرَبِيّ**، مُراجَعَةٌ نَقدِيَّةٌ لِلدُّكتور وليد محمَّد السّراقبيّ، مَنشورَةٌ في مَجَلَّة الدِّراسات اللُغَوِيَّة التي يُصدِرُها مركزُ الملك فيصل لِلبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة، في المجلَّد الحادي عشر - العدد الثّاني، في رَبيعِ الآخر-جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ (أَبريل- يونيه ٢٠٠٩م). وقَد طَوَّرَ الدُّكتور السّراقبيّ هذهِ القراءَةَ قَليلًا ونَشَرَها بَحثًا عَنوانُهُ **المَوروثُ اللُغَوِيُّ والاستِشراقُ: كيس فرستيخ نموذَجًا**، في مجلَّة العلوم الإنسانيَّة، العدد ٢٩، في صيف عامِ ٢٠١٧م. ويَتَّضِحُ مِن عُنوانِ القِراءَةِ الأُولى التي هيَ أَصلُ هذا البَحثِ أَنَّ الكلامَ فيهِما يَنحَصِرُ في مُناقَشَةِ جُزئيَّةٍ بَعيدَةٍ عَن نِطاقِ بَحثِنا هذا.

٤. **الفِكرُ اللُغَوِيُّ العَرَبِيُّ في نَظَرِ فيرستيغ**، أُطروحَةُ دكتوراه قَدَّمَها عصام عبد الفتّاح أَبو الهيجاء إلى قسم اللغة العربيَّة في كلِّيَّة الآداب بجامعة اليرموك في إربد بالأُردن، في عام ١٤٣٣هـ/٢٠١١م. وتتناولُ هذهِ الأُطروحَةُ بِالدِّراسَةِ

الأُمورَ التي ذَكَرَها فرستيخ في كِتابِهِ **عَناصِرُ يونانِيَّةٌ في الفِكرِ اللُغَوِيِّ العَرَبِيّ** وكِتابِهِ الآخَرِ **اللُغَةُ العَرَبِيَّةُ: تاريخُها ومُستَوياتُها وتَأثيرُها**، وليسَ في كِلا هذَيْنِ الكتابَيْنِ بَحثٌ مُعَمَّقٌ في مَباحِثِ عِلمِ الدَّلالَةِ عِندَ العَرَبِ، ولِذلكَ لا نَجِدُ في الأُطروحَةِ المُعتَمِدَةِ عليهِما مِمّا يُعالِجُ الدَّلالَةَ سِوى بِضعِ صَفَحاتٍ لا تُقَدِّمُ ولا تُؤَخِّرُ في التَّعريفِ بِإسهامِ مُستَشرِقِنا في هذا الحَقلِ.

٥. المُصطَلَحُ اللُغَوِيُّ عِندَ المُستَشرِقِينَ: «كيس فيرستيغ، كارل بروكلمان، جان كانتينو» نموذَجًا، رِسالَةُ ماجستير قَدَّمَتْها فاتن عبد الرَّزّاق محمود أَبو الشَّيخ إلى قسم اللغة العربيَّة في كلِّيَّة الآداب بجامعة اليرموك في إربد بالأُردن، في الفصلِ الدِّراسيِّ الثّاني ٢٠١١م/٢٠١٢م. وعُنوانُ الرِّسالَةِ يَكفينا مُؤنَةَ إطالَةِ الكلامِ على عَدَمِ وُجودِ صِلَةٍ بَينَها وبينَ ما نَحنُ بِسَبيلِ البَحثِ فيهِ؛ إذ إنَّ مَوضوعَها مَقصورٌ عَلى مُعالَجَةِ المُصطَلَحِ ولا يتعَدّاهُ إلى غَيرِهِ.

فلَمّا لَم أَقِفْ عَلى دِراسَةٍ تُوَفِّي إسهامَ كيس فرستيخ في بَحثِ عِلمِ الدَّلالَةِ العَرَبِيِّ حَقَّهُ، عَلى جَدارَتِهِ واستِحقاقِهِ لِذلكَ، قَرَّرْتُ أَن أُدلِيَ دَلوي فأُجَلِّيَ جانِبًا ثَرًّا مِن جَوانِبِ دِراسَةِ هذا المُستَشرِقِ لِلمَوروثِ اللُغَوِيِّ العَرَبِيِّ. واقتَضَتْ مادَّةُ البَحثِ تَقسيمَهُ على مُقَدِّمَةٍ تُبَيِّنُ أَهمِّيَّةَ المَوضوعِ المَدروسِ وعَدَمَ وُجودِ دِراساتٍ سابِقَةٍ لَهُ، فتَمهيدٍ في مِحوَرَيْنِ، يُخَصَّصُ أَوَّلُهُما لِلحَديثِ عَن سيرَةِ المُستَشرِقِ كيس فرستيخ المِهنِيَّةِ والعِلمِيَّةِ، ويُمحَضُ ثانيهِما لِبَيانِ تَعَلُّقِ البَحثِ في عِلمِ الدَّلالَةِ عندَ العَرَبِ بِمُجمَلِ تَخَصُّصِهِ البَحثِيِّ. وتَعقُبُ التَّمهيدَ أَربَعَةُ مَباحِثَ؛ أَمّا أَوَّلُها فيَتَناوَلُ البَحثَ الدَّلالِيَّ عِندَ مُفَسِّرِي القُرآنِ الكريمِ الأَوائلِ؛ وأَمّا ثانيها فيُعالِجُ البَحثَ الدَّلالِيَّ عِندَ اللُغَوِيِّينَ والنَّحوِيِّينَ؛ وأَمّا ثالِثُها فيَنظُرُ في البَحثِ الدَّلالِيِّ عِندَ البَلاغِيِّينَ والمَناطِقَةِ؛ وأَمّا رابِعُها فيَختَصُّ بِالبَحثِ الدَّلالِيِّ عِندَ الأُصولِيِّينَ. وبَعدَ المَباحِثِ الأَربَعَةِ تَأتي خاتِمَةُ البَحثِ، ثُمَّ مَسرَدُ مَصادِرِ البَحثِ، وعَلى اللهِ قَصدُ السَّبيلِ، وهوَ حَسبُنا ونِعمَ الوَكيلُ.

تمهيد

سيَكونُ حَديثي في هذا التَّمهيدِ عَن أَمرَيْنِ؛ أَوَّلُهُما سيرَةُ المُستَشرِقِ كيس فرستيخ المِهنِيَّةُ والعِلمِيَّةُ وما تُرجِمَ مِن كِتاباتِهِ إلى العَرَبِيَّةِ؛ وثانيهِما التَّعريفُ بطَبيعَةِ دِراسَتِهِ لِلمَوروثِ اللُغَوِيِّ العَرَبِيِّ ومَوقِعِ البَحثِ الدَّلالِيِّ فيها.

١. سيرَةُ كيس فرستيخ المِهنِيَّةُ والعِلمِيَّةُ وما تُرجِمَ مِن كِتاباتِهِ إلى العَرَبِيَّة

وُلِدَ كيس فرستيخ[(١)]، واسمُهُ الأَصلِيُّ هوَ كورنيلِس هينركوس ماريا فرستيخ، في عامِ ١٩٤٧م في مَدينَةِ آرنِم في هولندا. ودَرَسَ اللُغَتَيْنِ الكلاسيكِيَّتَيْنِ اليونانِيَّةَ واللاتينِيَّةَ واللُغَتَيْنِ السّامِيَّتَيْنِ العَرَبِيَّةَ والعِبرِيَّةَ في جامِعَةِ نايميخِن في هولندا، وحَصَلَ مِنها عَلى شَهادَةِ الدُّكتوراه التي كانَ عُنوانُها **عَناصِرُ يونانِيَّةٌ في الفِكرِ اللُغَوِيِّ العَرَبِيّ** (١٩٧٧). وفي عامِ ١٩٧٣ عُيِّنَ أُستاذًا مُساعِدًا ثُمَّ أُستاذًا مُشارِكًا في الجامِعَةِ نَفسِها، وظَلَّ مُحاضِرًا في قِسمِ دِراساتِ الشَّرقِ الأَوسَطِ إلى عامِ ١٩٨٧، إذ انتَقَلَ إلى العَمَلِ في القاهِرَةِ في ما بَينَ عامَيْ ١٩٨٧ و١٩٨٩ مُديرًا لِلمَعهَدِ الهولندِيِّ-الفلمنكِيِّ فيها. وبَعدَ عَودَتِهِ إلى جامِعَةِ نايميخِن عُيِّنَ أُستاذَ كُرسِيِّ العَرَبِيَّةِ والإسلامِ في عامِ ١٩٨٩، وهوَ مَنصِبٌ ظَلَّ يَشغَلُهُ إلى أَن أُحيلَ عَلى التَّقاعُدِ في عامِ ٢٠١٠، ثُمَّ أَصبَحَ في عامِ ٢٠١١ أُستاذًا مُتَمَرِّسًا. وفي أَثناءِ تِلكَ المُدَّةِ كانَ يَشغَلُ كذلكَ

(١) كِتابَةُ الاسمِ بِالخاءِ، أَي (فرستيخ)، هيَ المُوافِقَةُ لِنُطقِهِ بِاللُغَةِ الهولندِيَّةِ التي هيَ اللُغَةُ الأُمُّ لِمُستَشرِقِنا المَعْنِيِّ.

مَنصِبَ رَئيسِ قِسمِ دِراساتِ الشَّرقِ الأَوسَطِ، وقَد شَمِلَت واجِباتُهُ التَّدريسِيَّةُ في الجامِعَةِ فُصولًا في اكتِسابِ اللُّغَةِ، واللَهَجاتِ العربيَّةِ، وتَحليلِ النَّصِّ العَربيِّ الفَصيحِ، وعِلمِ النَّحوِ العَربيِّ. وزِيادَةً على ذلكَ، أَشرَفَ على ثَلاثٍ وثَلاثِينَ أُطروحَةً لِلدُّكتوراه في مَجالِ العَرَبيَّةِ والإسلامِ.

ويَنصَبُّ اهتِمامُهُ البَحثِيُّ على اللِسانِيّاتِ التّاريخِيَّةِ، وتاريخِ اللِسانيّاتِ، وعَمَلِيّاتِ التَّغَيُّرِ اللُغَوِيِّ والاتِّصالِ اللُغَوِيِّ، وتَدرُسُ بُحوثُهُ مَوضوعاتٍ مِن قَبيلِ بِداياتِ الموروثِ النَّحوِيِّ العَرَبيِّ، والتَّفاسيرِ القُرآنِيَّةِ الأُولى، وظُهورِ اللُغاتِ الهَجينَةِ والخَليطَةِ[١]. لَهُ كُتُبٌ وبُحوثٌ كثيرَةٌ لَم يُترجَم مِنها إلى العَرَبِيَّةِ إلّا عَدَدٌ قَليلٌ جِدًّا، هيَ ثَلاثَةُ كُتُبٍ، أَوَّلُها صُدورًا بِالعَرَبِيَّةِ هوَ **عَناصِرُ يونانِيَّةٌ في الفِكرِ اللُغَوِيِّ العَرَبِيِّ**[٢]، وثانيها هوَ **اللُغَةُ العَرَبِيَّةُ: تاريخُها ومُستَوياتُها وتَأثيرُها**[٣]، وثالِثُها هوَ **أَعلامُ الفِكرِ اللُغَوِيِّ (الجُزءُ الثّالِث): التَّقليدُ اللُغَوِيُّ العَرَبِيّ**[٤]، وثَماني مَقالاتٍ، أَربَعٌ مِنها ظَهَرْنَ بِترجَمَةِ بوشعيب برامو، أُولاها هيَ «حُرِّيَّةُ المُتَكَلِّمِ؟ مُصطَلَحُ الاتِّساعِ والمَفاهيمُ المُرتَبِطَةُ بِهِ في النَّحوِ العَرَبِيّ»[٥]، وثانِيَتُها هيَ «مَفهومُ المُستَوَياتِ التَّحتِيَّةِ في التُّراثِ النَّحوِيِّ العَرَبِيّ»[٦]، وثالِثَتُها هيَ «الدِّراساتُ الغَربِيَّةُ حَولَ تاريخِ النَّحوِ العَرَبِيِّ ١٩٦٩-١٩٩٤»[٧]، ورابِعَتُها هيَ «التُّراثُ العَرَبِيُّ مِن مَنظورٍ مُقارن»[٨]، وثَلاثٌ أُخرَياتٌ ظَهَرْنَ بِترجَمَةِ الدُّكتور عبد المنعم السَّيِّد جدامي والدُّكتور منتصر أَمين عبد الرَّحيم، وهُنَّ «النَّحوُ العَرَبِيُّ واللَحن»، و«أَصلُ الاصطِلاحِ النَّحوِيِّ العَرَبِيّ»، و «التُّراثُ اللُغَوِيُّ العَرَبِيّ»[٩]، ومَقالَةٌ أَخيرَةٌ ظَهَرَتْ بِترجَمَةِ الدُّكتور محمَّد الشّوبري وهيَ «اللُغَةُ العَرَبِيَّةُ في أَوروبّا مِن لُغَةِ العِلمِ إلى لُغَةِ الأَقَلِّيَّة»[١٠].

---

(١) لِلوُقوفِ عَلى مَصدَرِ هذهِ المَعلوماتِ عَن سيرَةِ فرستيغ، يُنظَرُ المَوقِعانِ الآتِيانِ على الشَّبَكَةِ العَنكَبوتِيَّة:
https://en.wikipedia.org/wiki/Kees_Versteegh ،
وhttps://alifs.aucegypt.edu/arabling/2019/01/15/kees/ .

(٢) صَدَرَت طَبعَتُهُ الأُولى بِالعَرَبِيَّةِ بِتَرجَمَةِ الدُّكتور محمود عليّ كناكري، عَن وِزارَةِ الثَّقافَةِ في الأُردُن، عامَ ٢٠٠٠، ثُمَّ صَدَرَت طَبعَتُهُ الثّانِيَةُ عَن دارِ عالَمِ الكُتُبِ الحديث في الأُردُن، عامَ ٢٠٠٣.

(٣) صَدَرَت طَبعَتُهُ الأُولى بِالعَرَبِيَّةِ بِتَرجَمَةِ محمَّد الشَّرقاوِيّ، عَن المَجلِسِ الأَعلى لِلثَّقافَةِ في القاهِرَةِ، عامَ ٢٠٠٣.

(٤) صَدَرَت طَبعَتُهُ الأُولى بِالعَرَبِيَّةِ بِتَرجَمَةِ الدُّكتور أَحمد شاكر الكلابيّ، عَن دارِ الكِتابِ الجَديد المُتَّحِدَة في بيروت، عامَ ٢٠٠٧.

(٥) في مَجَلَّةِ (فِكر ونَقد) المَغربِيَّةِ، العدد ٢٤، عامَ ١٩٩٩.

(٦) في مَجَلَّةِ (أَبحاث لِسانِيَّة) التي يُصدِرُها مَعهَدُ الدِّراساتِ والأَبحاثِ لِلتَّعريبِ بِالرِّباطِ، المُجَلَّد ٦، العَدَد ٢، ديسمبر ٢٠٠١.

(٧) في مَجَلَّةِ (ثقافات) البَحرينِيَّةِ، العَدَد المُزدَوج ١٥-١٦، عامَ ٢٠٠٥.

(٨) في مَجَلَّةِ (أَبحاث لِسانِيَّة) التي يُصدِرُها مَعهَدُ الدِّراساتِ والأَبحاثِ لِلتَّعريبِ بِالرِّباطِ، المُجَلَّد ١٢، العَدَد ٢-١، ديسمبر ٢٠٠٧.

(٩) ظَهَرَتْ مُجتَمِعَةً بِهذا التَّرتيبِ في كِتابٍ ضَمَّ مَقالاتٍ أُخرى تَرجَمَها الدُّكتوران المَذكوران، عُنوانُهُ **دِراساتٌ استِشراقِيَّةٌ حَولَ التُّراثِ النَّحوِيِّ العَرَبِيّ**، صَدَرَت طَبعَتُهُ الأُولى عَن دارِ كُنوز المَعرِفَة في الأُردُن، عامَ ٢٠١٥، وظَهَرَت تَرجَمَةُ مَقالَةِ "أَصل الاصطِلاحِ النَّحوِيِّ العَرَبِيّ" وَحدَها مَرَّةً أُخرى في كِتابٍ لِلدُّكتور مُنتصر أَمين عبد الرَّحيم عُنوانُهُ **دِراساتٌ مُعجَمِيَّةٌ واصطِلاحِيَّة**، صَدَرَت طَبعَتُهُ الأُولى عَن مَكتَبَةِ لُبنان ناشِرون في بيروت، عامَ ٢٠١٥ أَيضًا.

(١٠) في سِلسِلَةِ النَّشرِ الإلكترونِيِّ - تَرجَمات، التي يُصدِرُها مَركَزُ نَماء لِلبُحوثِ والدِّراسات في بيروت، في التّاسِعِ مِن تِشرين الأَوَّلِ مِن عامِ ٢٠١٨.

بَيدَ أَنّي لَم أَجِدْ مُعظَمَ ما تَحتاجُ إليهِ مادَّةُ بَحثي هذا في ذلكَ القَليلِ المُترجِمِ إلى العَرَبيَّةِ مِمّا كَتَبَهُ فرستيخ، فنَقَّبْتُ في عَدَدٍ كبيرٍ آخَرَ مِن كُتُبِهِ وبُحوثِهِ ومَقالاتِهِ التي كَتَبَها بِاللُغَةِ الإنجليزِيَّةِ لأَستَخلِصَ مِنها ما أَراهُ ضَروريًّا لِتَقديمِ صورَةٍ تَقتَرِبُ مِن الشُّمولِ لِتُظهِرَ وَجهًا مُشرِقًا مِن أَوجُهِ إسهاماتِ هذا المُستَشرِقِ بَعدَ أَن اكتَفَتْ مُعظَمُ الدِّراساتِ العربيَّةِ السّابِقَةِ بِتَسليطِ الضَّوءِ على آرائِهِ في نَشأَةِ النَّحوِ العَرَبيِّ واحتِمالاتِ تَأثيرِ التُّراثِ الأَجنَبِيِّ فيهِ، كأَن لَيسَ لِلرَّجُلِ وَجهٌ آخَرُ وإسهامٌ غَيرُ ذلكَ.

٢. دِراسَةُ المَوروثِ اللُغَويِّ العَرَبيِّ عِندَ فرستيخ ومَوقِعُ البَحثِ الدَّلالِيِّ فيها

إذا أَرَدْنا أَن نُموضِعَ اهتِمامَ فرستيخ بِعِلمِ الدَّلالَةِ العَرَبيِّ في مَوضِعِهِ الصَّحيحِ مِن مُجمَلِ اهتِمامِهِ بِالمَوروثِ اللُغَويِّ العَرَبيِّ، فلا بُدَّ لَنا مِن فَهمِ طَبيعَةِ تَوَجُّهِهِ البَحثِيِّ العامِّ. فقَد كانَتِ الصِّفَةُ التَّخَصُّصِيَّةُ الغالِبَةُ عليهِ هيَ صِفَةَ مُؤَرِّخِ اللِسانِيّاتِ عَلى وَجهِ العُمومِ واللِسانِيّاتِ اللاغَربِيَّةِ عَلى وَجهِ الخُصوصِ والدَّرسِ اللُغَويِّ العَرَبيِّ عَلى وَجهٍ أَخَصَّ. وبِمُقتَضى صِفَتِهِ هذهِ أَكَّدَ أَنَّهُ قَد يَكونُ الهَدَفُ النِّهائيُّ لِلمُقارَنَةِ بينَ الموروثاتِ اللُغَوِيَّةِ إظهارَ وُجودِ أَساسٍ كُلِّيٍّ ضِمنِيٍّ عَلى الرَّغمِ مِن الاختِلافاتِ التي بَينَها، وأَنَّ مُهِمَّةَ المُؤَرِّخِ تَكمُنُ بِالتَّحديدِ في الكَشفِ عَن الاختِلافاتِ التي تَحجُبُ هذا الأَساسَ المُشتَرَكَ. وحَكَمَ على مَن يَرفُضونَ كُلَّ المُقارَناتِ ويَعُدُّونَ كُلَّ الموروثاتِ اللاغَربِيَّةِ والسّابِقَةِ مَعزولَةً تَمامًا وغَريبَةً على عِلمِ اللِسانِيّاتِ كما يُمارَسُ اليَومَ بِأَنَّهُم مُخطِئونَ خَطأً فادِحًا[١].

فبِهذهِ النَّفسِيَّةِ المُنفَتِحَةِ عَلى المَوروثِ اللُغَويِّ لَدى الآخَرِ، بَل السّاعِيَةِ إلى مُكامَلَةِ مَوروثِها بِهِ بُغيَةَ الوُصولِ إلى فَهمٍ أَفضَلَ لأَهَمِّ أَدَواتِ الثَّقافَةِ الإنسانيَّةِ وهيَ اللُغَةُ، أَقبَلَ فرستيخ عَلى دِراسَةِ مُعطَياتِ الدَّرسِ الدَّلاليِّ عِندَ العَرَبِ. ولَمّا كانَ عِلمُ الدَّلالَةِ، بِمُقتَضى تَعريفِهِ، هوَ عِلمَ «دِراسَةِ المَعنى»[٢] في كُلِّ المَوروثاتِ اللُغَوِيَّةِ، وكانَ مَفهومُ (المَعنى) هوَ المفهومَ المركزِيَّ في النَّظريَّةِ الدَّلاليَّةِ العربيَّةِ، آثَرَ فرستيخ أَن يَتَّخِذَ لَفظَ (المعنى) نُقطَةَ انطِلاقٍ لَهُ في دِراسَةِ عِلمِ الدَّلالَةِ العربيِّ، مَعَ استِحضارٍ دائمٍ لِضِدِّهِ، أَي (اللَفظ)، الذي يَدُلُّ دائمًا على مُلازِمٍ حِسِّيٍّ لِما يَرمِزُ إليهِ (المعنى). وكانَتْ أَمامَهُ مُقارَبَتانِ لِهذا الدَّرسِ؛ أَمّا إحداهُما فتَنطَلِقُ مِن مَفهومِ (المَعنى) مِن خِلالِ مُكافِئِهِ الإنجليزِيِّ (meaning) مُتَتَبِّعَةً مُختَلِفَ استِعمالاتِهِ في اللِسانِيّاتِ الغَربِيَّةِ لِلكَشفِ عَمّا يُناظِرُها مِن مُصطَلَحاتٍ ومَفاهيمَ في المَوروثِ العَرَبيِّ؛ وأَمّا المقارَبَةُ الأُخرى فتَنطَلِقُ مِن لَفظِ (المَعنى) العَرَبيِّ لِتُبَيِّنَ مُختَلِفَ استِعمالاتِهِ في المَوروثِ العَرَبيِّ عازِيَةً إيّاها إلى الاستِعمالاتِ الغَربيَّةِ. واختارَ فرستيخ أَن يَسلُكَ سَبيلَ المقارَبَةِ الثّانيَةِ في تَحليلِهِ، فقَدَّمَ أُطروحَةً كامِلَةً عن الاستِعمالاتِ المختلِفَةِ لِلَفظِ (المَعنى) في مُختَلِفِ الفُروعِ العِلميَّةِ لِلمَوروثِ العَرَبيِّ[٣].

---

(١) يُنظَر: Versteegh, Kees, "The study of the non-Western linguistic traditions", p. 2797-2799.

(2) Matthews, P. H., *The Concise Oxford Dictionary of Linguistics*, p. 360.

(٣) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, p. 228.

وهوَ باختِيارِهِ هذهِ المُقارَبَةَ دونَ الأُخرى قَد جَمَعَ بَينَ حَسَنَتَيْنِ؛ إحداهُما احترامُ اللُغَةِ العَرَبِيَّةِ ومُراعاةُ خُصوصِيّاتِها، إذ بَدَأَ حَفرِيّاتِهِ وتَنقيباتِهِ مِن تُربَتِها ولَم يَبدَأْها مِن تُربَةٍ غَريبَةٍ عَنها كما يَفعَلُ كَثيرٌ مِمَّن يُقارِبونَ دِراسَةَ عِلمِ الدَّلالَةِ العَرَبِيِّ مِن خِلالِ مُعطَياتِ اللِسانِيّاتِ الغَربِيَّةِ؛ والحَسَنَةُ الأُخرى عَدَمُ إغفالِ مُقارَنَةٍ ما تَمَخَّضَتْ عَنهُ الحَفرِيّاتُ والتَّنقيباتُ في تُربَةِ المَوروثِ العَرَبِيِّ بِمُعطَياتِ المَوروثِ اللُغَوِيِّ الغَربِيِّ قَديمِهِ وحَديثِهِ بُغيَةَ الوُصولِ إلى الهَدَفِ الذي نَصَبَهُ فرستيخ لِنَفسِهِ في جَميعِ دِراساتِهِ المُقارِنَةِ وهوَ تَحقيقُ التَّكامُلِ المَعرِفِيِّ في فَهمِ أَهَمِّ أَدَواتِ الثَّقافَةِ الإنسانِيَّةِ، أَي اللُغَةِ.

وبَعدَ أَن بَيَّنَ فرستيخ تَيْنِكُم المُقارَبَتَيْنِ لِدِراسَةِ عِلمِ الدَّلالَةِ العَرَبِيِّ، انتَقَلَ إلى المَوروثِ الدَّلاليِّ العَرَبِيِّ نَفسِهِ لِيَكشِفَ عَن تَضَمُّنِهِ اتِّجاهَيْنِ لِلتَّعامُلِ مَعَ المَعنى. فأَمّا الاتِّجاهُ الأَوَّلُ فيُعَبِّرُ عَنهُ ما ذَكَرَهُ ابنُ فارِسٍ (ت. ٣٩٥هـ) مِن أَنَّ (المَعنى) هوَ «القَصدُ والمُرادُ»[١]. وأَمّا الاتِّجاهُ الآخَرُ فنَجِدُهُ في التَّعريفِ الذي عَزاهُ الأَزهريُّ (ت. ٣٧٠هـ) إلى ثَعلَبٍ (ت. ٢٩١هـ)، وهوَ قَولُهُ: «المَعنى والتَّفسيرُ والتَّأويلُ واحِدٌ»[٢]. فمِن الواضِحِ أَنَّ التَّشديدَ الرَّئيسَ عِندَ ابنِ فارسٍ إنَّما هوَ على قَصدِ المتكلِّمِ، فغَرَضُ الكلامِ هوَ التَّواصُلُ، وليسَ المَعنى سِوى ما تُريدُ قَولَهُ باستِعمالِكَ الكلامَ وَسيطًا ناقِلًا. أَمّا المعنى في التَّعريفِ الثّاني فكامِنٌ في الكلامِ نَفسِهِ، ويُمكِنُ استِخراجُهُ بِعمليَّةِ تَأويلٍ يَضطَلِعُ بها مُفَسِّرٌ أَو لُغَوِيٌّ. عَلى أَنَّهُ لا يَفوتُ فرستيخ التَّنبيهُ عَلى أَنَّ هذا لا يَعني أَنَّ المقارَبَتَيْنِ مُستَقِلَّةٌ إحداهُما عن الأُخرى؛ فمن الواضِحِ أَنَّ عَلى المتكلِّمِ حينَ يَستَعمِلُ الكلامَ أَن يُفيدَ مِن المعنى الوَضعِيِّ الكامِنِ، وأَنَّ على المؤَوِّلِ بِعَكسِ ذلكَ أَن يُراعِيَ حينَ يُحَلِّلُ الكلامَ قَصدَ المتكلِّمِ. ثُمَّ إنَّهُما يَتَشاطَرانِ سِمَةً مُشتَرَكةً مُهِمَّةً: فكِلتا المقارَبَتَيْنِ تَجعَلُ المرجِعَ غَيرَ اللُغَوِيِّ خارِجَ مُناقَشَةِ وَظيفَةِ المعنى. والفَرقُ الرَّئيسُ بينَ التَّعريفَيْنِ يتعلَّقُ باختِلافِ زاوِيَةِ نظرِهِما إلى الموضِعِ الذي يَنبَغي أَن تَبدَأَ مِنهُ دراسَةُ المَعنى، أَي مِن قَصدِ المتكلِّمِ أَو مِن البِنيَةِ اللُغَوِيَّةِ[٣].

وبِناءً عَلى ما سَبَقَ، وباستِقراءِ ما كَتَبَهُ فرستيخ في مُختَلِفِ كُتُبِهِ وبُحوثِهِ ومَقالاتِهِ التي لَها تَعَلُّقٌ بِمَباحِثِ الدَّلالَةِ عِندَ العَرَبِ، يُمكِنُ تَلَمُّسُ تَمييزِهِ أَربَعَ حَواضِنَ رَئيسَةً تَنَقَّلَ بَينَها (المَعنى)؛ أُولاها بيئةُ مُفَسِّري القُرآنِ الأَوائِلِ؛ وثانِيَتُها بيئةُ اللُغَوِيِّينَ والنَّحوِيِّينَ؛ وثالِثَتُها تَمَثَّلَتْ في بيئَتَي البَلاغِيِّينَ والمَناطِقَةِ؛ ورابِعَتُها بيئةُ الأُصولِيِّينَ. وستُشَكِّلُ هذهِ المَفاصِلُ بِنيَةَ المَباحِثِ الأَربَعَةِ الآتِيَةِ.

أَوَّلًا. البَحثُ الدَّلالِيُّ عِندَ أَوائِلِ المُفَسِّرين

أَكَّدَ فرستيخ في غَيرِ مَوضِعٍ مِن كِتاباتِهِ أَنَّ أَقدَمَ جهدٍ في دِراسَةِ النُّصوصِ العَرَبِيَّةِ مَثَّلَتْهُ الحَرَكَةُ التَّفسيرِيَّةُ في القَرنَيْنِ الأَوَّلِ والثّاني لِلهِجرَةِ. وقادَهُ هذا إلى نَتيجَةٍ قَد تُخالِفُ بِدَرَجَةٍ مُعَيَّنَةٍ ما أُشيعَ عَنهُ مِن تَبَنِّيهِ خِطابًا انتِقاصِيًّا مِن اللُغَةِ

(١) ابنُ فارِس، **الصّاحِبِيُّ في فِقهِ اللُغَةِ العَرَبِيَّةِ وسَنَنِ العَرَبِ في كَلامِها**: ٣١٢. ويُنظَر: ابنُ فارِس، **مُعجَمُ مَقاييسِ اللُغَة**: ١٤٦/٤-١٤٩.

(٢) الأَزهَرِيُّ، أَبو مَنصور، **تَهذيبُ اللُغَة**: ١٣٥/٣.

(٣) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, p. 228.

العربيَّةِ بِتَجريدِها مِن أَصالَةِ نَشأَةِ عُلومِها، إذ نَجِدُهُ يَنُصُّ نَصًّا صَريحًا عَلى أَنَّهُ يَترَتَّبُ عَلى تِلكَ المُقَدِّمَةِ «أَنَّ بِدايَةَ التَّحليلِ اللُغَوِيِّ في الإسلامِ كانَتْ مُستَقِلَّةً عن التَّأثيرِ الخارِجِيِّ»[1]. وذَكَرَ في مَوضِعٍ آخَرَ أَنَّ (المَعنى) قَد شَهِدَ تَطَوُّرًا دَلاليًّا داخِلِيًّا في العربيَّةِ، إذ كانَ مَفهومًا مُبهَمًا غَيرَ مُتَخَصِّصٍ في الجُهودِ المُبكِّرَةِ لِتَفسيرِ القُرآنِ - أَي قَصدَ المُتَكَلِّمِ - ثُمَّ أَصبَحَ مَفهومًا مُتَخَصِّصًا جِدًّا لَهُ تَطبيقاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ في النَّظريَّةِ اللُغَويَّةِ اللاحِقَةِ. واستَنتَجَ مِن ذلكَ أَن لا داعِيَ إذَن إلى افتِراضِ تَأثيرٍ أَجنَبِيٍّ في عِلمِ النَّحوِ العربيِّ في هذا الجانبِ مِن النَّظريَّةِ اللُغَويَّةِ، وفي هذا اللَفظِ المخصوصِ في أَقَلِّ تَقديرٍ، وأَنَّ عَدَّ (المَعنى) مُقتَرَضًا مِن المَفهومِ اليونانيِّ (lektón) إنَّما هوَ افتِراضٌ مُغالٍ[2]. بَل نَجِدُهُ يُصَرِّحُ في مَوضِعٍ آخَرَ بِأَنَّ الرُّؤيَةَ التي كانَ قَد قَدَّمَها في أُطروحَتِهِ لِلدُّكتوراه بِشَأنِ تَأثيرِ الموروثِ اليونانيِّ في الموروثِ العَرَبِيِّ قَد تَغَيَّرَتْ تَغَيُّرًا كبيرًا بِفِعلِ دِراسَتِهِ لِلتَّفاسيرِ القُرآنيَّةِ الأُولى التي أَقنَعَتْهُ بِأَنَّ كثيرًا مِمّا اعتَقَدَ أَنَّهُ أَثَرٌ مِن آثارِ الموروثِ اليونانيِّ هوَ في الواقِعِ نَتيجَةُ تَطَوُّرٍ أَصيلٍ في المَوروثِ العَرَبِيِّ نَفسِهِ[3].

وذَكَرَ فرستيخ أَنَّ جُهودَ المُفَسِّرينَ الأَوائلِ في فَهمِ مَعنى النَّصِّ قادَتْ إلى أُنموذَجٍ تَأويلِيٍّ بَسيطٍ شَيئًا مّا، غالِبًا مّا كانَتِ القَواعِدُ فيهِ ضِمنِيَّةً، ويُطابَقُ فيهِ مَعنى النَّصِّ بِقَصدِ المتكلِّمِ، وتَكونُ مُهِمَّةُ المُفَسِّرِ أَن يُوضِحَ هذا القَصدَ، ولا حاجَةَ في هذا المشروعِ العِلميِّ إلى التَّحليلِ اللُغَوِيِّ لِلُغَةِ النَّصِّ في حَدِّ ذاتِهِ[4]. والمُتَتَبِّعُ لِكِتاباتِ فرستيخ في مُحاوَلاتِ المُفَسِّرينَ الأَوائلِ تَفسيرَ قَصدِ مُنزِلِ النَّصِّ القُرآنِيِّ سُبحانَهُ يَجِدُها تتعلَّقُ بِنَمَطَيْنِ رَئيسَيْنِ مِن الأَلفاظِ؛ أَحَدُهُما نَمَطُ الأَلفاظِ المُباشِرَةِ الدَّلالَةِ التي لا تُحوِجُ مَعرِفَةُ مَعانيها المُفَسِّرَ إلى غَيرِ حَملِها عَلى ظَواهِرِها؛ والآخَرُ نَمَطُ الأَلفاظِ غَيرِ المُباشِرَةِ الدَّلالَةِ التي يُحتاجُ لِلتَّوَصُّلِ إلى قَصدِ المُتَكلِّمِ بِها سُبحانَهُ إلى جهدٍ تَأويلِيٍّ خاصٍّ وعَدَمِ الرُّكونِ إلى ما قَد يَتَبادَرُ مِنها مُباشَرَةً إلى الذِّهنِ. وفي الآتي ذِكرُ آلِيّاتِ تَفسيرِ المَعنى التي بَيَّنَ فرستيخ أَنَّ المُفَسِّرينَ الأَوائلِ اتَّبَعوها مَعَ كُلٍّ مِن هذَيْنِ النَّمَطَيْنِ.

١. آلِيّاتُ تَفسيرِ مَعاني الأَلفاظِ المُباشِرَةِ الدَّلالَة

تَنَوَّعَتْ الآلِيّاتُ التي اتَّبَعَها المُفَسِّرونَ الأَوائلُ لِتَفسيرِ مَعاني هذا النَّمَطِ مِن الأَلفاظِ، لكِنَّ تَشديدَ فرستيخ انصَبَّ عَلى ثَلاثٍ مِنها، هيَ الآتِيَةُ:

(1) Versteegh, Kees, "Meanings of speech: The category of sentential mood in Arabic grammar", p. 271.

(٢) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, pp. 232-233.

(٣) يُنظَر: Versteegh, Kees, *The explanation of linguistic causes: Az-Zaǧǧāǧī's theory of grammar, introduction, translation and commentary*, p. xii.

(٤) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, pp. 234-235.

أ. المُجاوَرَة:

إنَّ أَيسَرَ وَسيلَةٍ استَعملَها المُفَسِّرونَ الأَوائلُ لِلدَّلالَةِ على التَّكافُؤِ الدَّلاليِّ بينَ النَّصِّ وإعادَةِ صِياغَتِهِ مُعجَمِيًّا هيَ، عَلى ما ذَكَرَ فرستيخ، المُجاوَرَةُ بينَ النَّصِّ البَديلِ والنَّصِّ نَفسِهِ[١]، بِلا استِعمالٍ لأَيِّ رابِطٍ تَفسيرِيٍّ بَينَهُما، وهوَ ما يُسَمِّيهِ المُستَشرِقُ الأَمريكِيُّ جون وانسبرو John Wansbrough حالَةَ (الرّابِط الصِّفرِيّ zero connective)[٢]. مِثالُ ذلكَ تَفسيرُ الضَّحّاكِ بنِ مُزاحِمٍ (ت. ١٠٥هـ) كلِمَةَ (فاحِشَة) في قَولِهِ تَعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ (النِّساء: ١٩)، بِقَولِهِ: «الفاحِشَةُ: الزِّنا»[٣].

ب. استِعمالُ رابِطٍ واحِد:

غالِبًا مّا كانَتْ إعادَةُ الصِّياغَةِ البَديلَةُ تُقَدَّمُ بِوَساطَةِ عَلاماتٍ تَفسيرِيَّةٍ أَو رَوابِطَ أَوجَدَ بِها المُفَسِّرونَ طَريقَةً لِلإحالَةِ عَلى (مَعنى) النَّصِّ، بِالمَعنى الحَرفِيِّ الذي يُفيدُ (ما يَعنيهِ اللهُ) في القُرآنِ[٤]. وأَشهَرُ هذهِ الرَّوابِطِ ثَلاثَةٌ هيَ: (يَعني)، و(يَقولُ)، و(أَيْ)، عَلى تَفاوُتٍ في نِسَبِ استِعمالِها. فأَشيَعُ هذهِ الرَّوابِطِ (يَعني)، «والفِعلُ (يَعني) مُشتَقٌّ مِن جَذرِ لَفظِ (المَعنى) نَفسِهِ الذي لا يَستَعمِلُهُ هوَ نَفسَهُ إلّا بَعضُ المُفَسِّرينَ المُتَقَدِّمينَ. وفاعِلُ الفِعلِ (يَعني) في مُعظَمِ الحالاتِ هوَ المُتَكَلِّمُ، لكِنَّ الفاعِلَ في بَعضِ الفِقراتِ هوَ النَّصُّ. ويُمكِنُ عَدُّ هذا الاستِعمالِ الأَخيرِ دَلالَةً على مَيلٍ جَديدٍ إلى اتِّخاذِ النَّصِّ نُقطَةَ انطِلاقٍ لِلتَّفسيرِ، بَدَلًا مِن قَصدِ المُتَكلِّمِ»[٥]، فلَيسَ المَعُودُ إليهِ في حالَةِ هذا الرّابِطِ مُمَيَّزًا بِوُضوحٍ على الدَّوامِ: فقَد يُحيلُ على اللهِ بِوَصفِهِ المُتَكلِّمَ بِالنَّصِّ، وقَد يُحيلُ على النَّصِّ نَفسِهِ[٦]. ومِن أَمثِلَةِ استِعمالِ الرّابِطِ (يَعني) عِندَ أَوائلِ المُفَسِّرينَ قَولُ مُقاتِلِ بنِ سُلَيمانَ (ت. ١٥٠هـ) في تَفسيرِ قَولِهِ تَعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾ (آل عمران: ١١٩): «يَعني: أَطرافَ الأَصابِعِ»[٧]. وأَقَلُّ شُيوعًا مِن استِعمالِ الرّابِطِ (يَعني) استِعمالُ الرّابِطِ (يَقولُ)، وأَقَلُّ شُيوعًا مِن استِعمالِهِما استِعمالُ الرّابِطِ (أَي) التَّفسيرِيَّةِ[٨].

---

(١) يُنظَر: Versteegh, Kees, *Arabic grammar and Qurʾānic exegesis in early Islam*, p. 85.

(٢) يُنظَر: Wansbrough, John, *Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation*, p. 129.

(٣) الضَّحّاكُ بنُ مُزاحِم، **تَفسيرُ الضَّحّاك**: ٢٨١. ويُنظَر: Versteegh, Kees, "The name of the ant and the call to holy war: al-Ḍaḥḥāk ibn Muzāḥim's commentary on the Quran", p. 284.

(٤) يُنظَر: Versteegh, Kees, *Arabic grammar and Qurʾānic exegesis in early Islam*, p. 96.

(5) Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, p. 235.

(٦) يُنظَر: Versteegh, Kees, "In search of meaning: Lexical explanations in the earliest Qurʾānic commentaries", p. 50.

(٧) مُقاتِلُ بنُ سُلَيمان، **تَفسيرُ مُقاتِلِ بنِ سُلَيمان**: ١/٢٩٨. ويُنظَر: Versteegh, Kees, "In search of meaning: Lexical explanations in the earliest Qurʾānic commentaries", p. 51.

(٨) يُنظَر: Versteegh, Kees, "In search of meaning: Lexical explanations in the earliest Qurʾānic commentaries", p. 50.

ت. استِعمالُ رابِطَيْن:

يُمكِنُ التَّمثيلُ لِهذهِ الآلِيَّةِ التَّفسيريَّةِ بِقَولِ مُقاتِلِ بنِ سُلَيمانَ في تَفسيرِ قَولِهِ تَعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ (آل عمران: ١٦٣): «يَعني: لَهُم دَرَجاتٌ، يَعني: لَهُم فَضائلُ»[١]. ويُطلِقُ فرستيخ على هذهِ الآلِيَّةِ التَّفسيريَّةِ مُصطَلَحَ (التَّفسير المُزدَوِج double glossing)[٢]، وهيَ عَينُها التي يُسَمِّيها وانسبرو (التَّفسير المُفْرِط supercommentary)[٣].

٢. آلِيّاتُ تَفسيرِ مَعاني الأَلفاظِ غَيرِ المُباشِرَةِ الدَّلالَة:

تُمَثِّلُ الحالاتُ الماضِيَةُ آلِيّاتٍ اكتَفى بِها المُفَسِّرونَ الأَوائلُ في تَفسيرِ كلِماتٍ أَو عِباراتٍ لَها مَعنًى واحِدٌ، بَيدَ أَنَّ ثَمَّةَ كلِماتٍ في القُرآنِ لَها مَعانٍ مُختَلِفَةٌ لَم يَكتَفوا مَعَها بالآلِيّاتِ السّابِقَةِ بَل زادوا عَلَيها أُخرى سَلَّطَتْ كِتاباتُ فرستيخ الضَّوءَ عَلى عَدَدٍ مِنها، هيَ الآتِيَةُ:

أ. القَولُ بِالأَضداد:

بَيَّنَ فرستيخ أَنَّ بَعضَ الأَلفاظِ لا تَقتَصِرُ على أَنَّ لَها مَعانِيَ مُختلِفَةً، بَل إنَّ هذهِ المعانِيَ مُتَضادَّةٌ. وعَلى الرَّغمِ مِن تَوافُرِ أَمثِلَةٍ لِهذا الصِّنفِ عِندَ جَميعِ المُفَسِّرينَ الأَوائلِ، نَجِدُ أَنَّ تَفسيرَ زَيدِ بنِ عَلِيٍّ (ت. ١٢٢هـ) هوَ التَّفسيرُ الوَحيدُ مِن بَينِ التَّفاسيرِ المُتَقَدِّمَةِ الذي يَستَعمِلُ هذا المُصطَلَحَ: فزَيدُ بنُ عَلِيٍّ يُعيدُ صِياغَةَ كلِماتٍ كثيرَةٍ لَها مَعانٍ مُتَضادَّةٌ، لكِنَّهُ يُصَرِّحُ بِتَسمِيَةِ ثَلاثٍ مِنها أَضدادًا[٤]؛ أُولاها (فَوقَ)، إذ قالَ عَن عِبارَةِ (فَوقَها) في قَولِهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: ٢٦): «وهذا مِن الأَضدادِ، يَقولُ ما هُوَ أَكبَرُ لِما هُوَ أَصغَرُ»[٥]؛ وثانِيَتُها (البَلاءُ)، إذ قالَ عَن هذهِ الكلِمَةِ في قَولِهِ تَعالى: ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: ٤٩): «يَكونُ شَرًّا ويَكونُ نِعمَةً، وهُما ضِدٌّ»[٦]؛ وثالِثَتُها (أَخفى)، إذ قالَ: «﴿أُخْفِيهَا﴾(طه: ١٥)، مَعناهُ: أُظهِرُها، و﴿أُخْفِيهَا﴾: أَكتُمُها، وهُما ضِدٌّ»[٧].

---

(١) مُقاتِلُ بنُ سُلَيمان، **تَفسيرُ مُقاتِلِ بنِ سُلَيمان**: ٣١١/١.

(٢) يُنظَر: Versteegh, Kees, "Grammar and Exegesis: The origins of Kufan Grammar and the *Tafsīr Muqātil*", p. 212.

(٣) يُنظَر: Wansbrough, John, *Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation*, p. 129.

(٤) يُنظَر: Versteegh, Kees, "In search of meaning: Lexical explanations in the earliest Qurʾānic commentaries", pp. 53-54.

(٥) زَيدُ بنُ عَلِيّ، **تَفسيرُ غَريبِ القُرآنِ المَجيد**: ٤٢.

(٦) المَصدَرُ نَفسُه: ٤٤.

(٧) المَصدَرُ نَفسُه: ١٥٢. ويُنظَر: Versteegh, Kees, "Zaid ibn Alī's commentary on the *Qurān*", p. 20.

ولا شَكَّ في أَنَّ القَولَ بِالأَضدادِ لا يَخرُجُ عَن الوِجهَةِ العامَّةِ التي سَلَكَها المُفَسِّرونَ في التَّحليلِ الدَّلالِيِّ لِلنَّصِّ القُرآنِيِّ، وهيَ وِجهَةُ الحِرصِ عَلى الإمساكِ بِقَصدِ مُنزِلِهِ سُبحانَهُ وتَعالى ودَفعِ كُلِّ ما قَد يَبدو مُخالِفًا لِمُرادِهِ. ففي قَولِهِ تَعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ (البقرة: ٢٦)، عَلى سَبيلِ المِثالِ، لَيسَتْ عِبارَةُ ﴿فَوۡقَهَاۚ﴾ واضِحَةً أَوَّلَ وَهلَةٍ: أَفتَعني أَنَّ اللهَ قادِرٌ أَيضًا على أَن يَستَعمِلَ حَيَواناتٍ أَكبَرَ مِن البَعوضَةِ في ضَربِ الأَمثالِ، أَم تَعني أَنَّهُ قادِرٌ أَيضًا على أَن يَستَعمِلَ حَيَواناتٍ أَصغَرَ مِن البَعوضَةِ؟ فقَد وَجَدْنا زَيدَ بنَ عَلِيٍّ يَكتَفي بِقَولِهِ: «أَي فما دونَها في الصِّغَرِ، وهذا مِن الأَضدادِ، يُقالُ لِما هُوَ أَكبَرُ ولِما هُوَ أَصغَرُ»[1]. فشُعورُ زَيدِ بنِ عَلِيٍّ بِعَدَمِ مُلاءَمَةِ أَن يَكونَ الحَيَوانُ الذي هوَ أَكبَرُ مِن البَعوضَةِ تَفسيرًا لِلآيَةِ التي يَرِدُ فيها هوَ الذي دَعاهُ إلى القَولِ بِاحتِمالِ أَن يَكونَ لِلكَلِمَةِ مَعنًى آخَرُ مُضادٌّ[2].

ب. القَولُ بِالمَجاز:

نَبَّهَ فرستيخ عَلى ظاهِرَةٍ دَلالِيَّةٍ أُخرى لَها صِلَةٌ بِمُحاوَلَةِ استِخراجِ قَصدِ المُتَكَلِّمِ مِن وَراءِ اللَفظِ نَجِدُ لَها حُضورًا عِندَ أَوائلِ المُفَسِّرينَ، هيَ ظاهِرَةُ (المَجاز). فالنَّصُّ القُرآنيُّ يتضمَّنُ تَعبيراتٍ لَها مَعانٍ مَجازِيَّةٌ بِوُضوحٍ. ويَبدو أَنَّ بَعضَ المُفَسِّرينَ لَم يَعُدُّوا ذلكَ مُشكِلَةً، إذ اكتَفى الضَّحّاكُ بِقَولِهِ إنَّ كلِمَةَ (المَوازين) في: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾(الأَنبياء: ٤٧) تَعني (العَدل)، إذ لا ذِكرَ لِميزانٍ حَقيقيٍّ في هذهِ الفِقرَةِ[3]. ولا يَفوتُ فرستيخ التَّنبيهُ عَلى أَنَّ تَفسيراتِ الضَّحّاكِ التي عَلى هذهِ الشّاكِلَةِ لَم تَشتَمِلْ على أَيَّةِ مُصطَلَحاتٍ مُتَخَصِّصَةٍ تُحيلُ على الكلامِ المَجازِيِّ، بَل كانَ يَقتَصِرُ على مُلاحَظَةِ أَنَّ المَعنى الحَرفِيَّ لا يَكونُ مُرادًا في بَعضِ الأَحيانِ، كما في تَفسيرِهِ لِلآيَةِ المذكورَةِ[4]. ويَذكُرُ فرستيخ في مَوضِعٍ آخَرَ أَنَّ فِكرَةَ (المَجاز) شَهِدَت تَطَوُّرًا فِكرِيًّا واصطِلاحِيًّا بِظُهورِ كتابِ **مَجاز القُرآن** لأَبي عُبَيدَةَ (ت. ٢١٠هـ)، إذ أَصبَحَ الاختِلافُ بينَ اللَفظِ والمعنى مَوضوعًا لَهُ مُعالَجَتُهُ الخاصَّةُ فيهِ. فهذا الكِتابُ يَتَّخِذُ شَكلَ تَفسيرٍ يَتَناوَلُ جَميعَ التَّبايُناتِ في النَّصِّ، بِحَسَبِ تَرتيبِ الآياتِ التي وَرَدَتْ فيها. ويَستَقصي أَبو عُبَيدَةَ في المقَدِّمَةِ جَميعَ ظَواهِرِ هذا النَّمَطِ في القُرآنِ. وقَد جَمَعَها في مُصطَلَحِ (المجاز)، وهوَ تَركُ الاستِعمالِ الأَصليِّ لِلكَلِمَةِ أَو الفَصيلَةِ وإنشاءُ مَعنًى جَديدٍ[5].

---

(١) زَيدُ بنُ عَلِيّ، **تَفسيرُ غَريبِ القُرآنِ المَجيد**: ٤٢.

(٢) يُنظَر: Versteegh, Kees, "Zaid ibn Alī's commentary on the *Qurān*", p. 24.

(٣) يُنظَر: الضَّحّاكُ بنُ مُزاحِم، **تَفسيرُ الضَّحّاك**: ٥٧٥. ويُنظَر: Versteegh, Kees, "In search of meaning: Lexical explanations in the earliest Qurʾānic commentaries", p. 55.

(٤) يُنظَر: Versteegh, Kees, "The name of the ant and the call to holy war: al-Ḍaḥḥāk ibn Muzāḥim's commentary on the Quran", p. 286.

(٥) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, p. 237.

ويُرَجِّحُ فرستيغ أَنَّ (المَعنى) و(المَجاز) يَكادانِ يَترادَفانِ عِندَ أَبي عُبَيدَةَ، مُستَدِلًّا عَلى ذلكَ بِقَولِ أَبي عُبَيدَةَ في قَولِهِ تَعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(النَّحل: ٩٨): «﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ مَجازُهُ: إذا تَلَوْتَ بَعضَهُ في أَثَرِ بَعضٍ حتّى يَجتَمِعَ ويَنضَمَّ بَعضُهُ إلى بَعضٍ، ومَعناهُ يَسيرُ إلى مَعنى التَّأليفِ والجَمعِ»[1]. ويَرى فرستيغ في هذا المِثالِ وما يُشاكِلُهُ، عِندَ هذا المُفَسِّرِ المُتَأَخِّرِ نِسبِيًّا عَن زَمَنِ المُفَسِّرِينَ الأَوائلِ، إرهاصًا لانتِقالٍ مِن استِعمالِ (المَعنى) لِلدَّلالَةِ عَلى قَصدِ المُتَكلِّمِ عِندَ أَوائلِ المُفَسِّرِينَ إلى استِعمالِهِ بِمَعنى دَلالَةِ النَّصِّ، بِما يُمَهِّدُ لِلمَرحَلَةِ الثّانِيَةِ مِن مَراحِلِ البَحثِ الدَّلاليِّ في الموروثِ العَرَبيِّ عِندَ النَّحوِيِّينَ وفي مُقَدِّمَتِهِم سيبَوَيْهِ (ت. ١٨٠هـ). فتَفسيرُ أَبي عُبَيدَةَ المذكورُ لِلتَّعبيرِ القُرآنيِّ ﴿قَرَأْتَ﴾ يَجمَعُ التَّفسيرَ المُعجَمِيَّ لِلكلمَةِ والتَّأويلَ بِإعادَةِ صِياغَةِ الآيَةِ. فهوَ حينَ يَقولُ: «مَعناهُ يَسيرُ إلى مَعنى ...»، إنَّما يُحيلُ على عَمَلِيَّةٍ دَلالِيَّةٍ مُستَقِلَّةٍ تَحدُثُ في النَّصِّ (أَو في اللُّغَةِ) لا يَعودُ فيها قَصدُ المتكلِّمِ هوَ المُهَيمِنَ. فقَد انتَقَلَ اهتِمامُ المُفَسِّرِ مِن المتكلِّمِ إلى تَفسيرِ النَّصِّ. والخطوَةُ اللاحِقَةُ في تَطَوُّرِ الدِّراساتِ اللُّغَوِيَّةِ كانَت الانتِقالَ مِن تَفسيرِ النَّصِّ إلى تَحليلِ بِنيَةِ اللُّغَةِ[2].

ت. القَولُ بِالإضمار:

على الرَّغمِ مِمّا أَصَّلَهُ فرستيغ آنِفًا مِن أَنَّ مُعظَمَ القَواعِدِ التَّأويلِيَّةِ عِندَ المُفَسِّرِينَ الأَوائلِ كانَتْ ضِمنِيَّةً، لَم يَغفُلْ عَن بَيانِ أَنَّ أُولئكَ المُفَسِّرِينَ أَدرَكوا العَلاقَةَ بينَ النَّصِّ وقَصدِ المُتَكَلِّمِ بِاستِعمالِهِم مُصطَلَحاتٍ مُعَيَّنَةً. إذ قَدَّمَ مُقاتِلٌ في مُقَدِّمَةِ تَفسيرِهِ قائمَةً عَشوائِيَّةً بِأَنماطِ النُّصوصِ التي يَتَضَمَّنُها القُرآنُ، مِنها نَمَطٌ مَخصوصٌ لَهُ صِلَةٌ بِالعَلاقَةِ بينَ قَصدِ المتكلِّمِ والنَّصِّ الفِعليِّ. ففي بَعضِ الحالاتِ، لا يُصَرِّحُ النَّصُّ بِكُلِّ مَضمونِ الرِّسالَةِ: بَل تُترَكُ أَجزاءٌ مِنها عَلى السّامِعِ أَن يَأتِيَ بِها هوَ بِنَفسِهِ. وهذا ما يُسَمِّيهِ مُقاتِلٌ (إضمارًا)، وهوَ مِن المُصطَلَحاتِ القَليلَةِ، في نِطاقِ مُقارَبَتِهِ غَيرِ المُتَخَصِّصَةِ نِسبِيًّا لِلتَّفسيرِ، التي تَدُلُّ صَراحَةً على العَلاقَةِ بينَ النَّصِّ ومَعناهُ. وفي المِثالِ الآتِي نَجِدُ مَعنى الآيَةِ المَعنِيَّةِ مُحَدَّدًا بِزِيادَةٍ تَفسيرِيَّةٍ يُسَمِّيها مُقاتِلٌ (إضمارًا)، إذ قالَ: «﴿مَا عِندَكُمْ﴾ (النَّحل: ٩٦)، مِن الأَموالِ، إضمارٌ»[3]، ففي هذا المِثالِ، نَجِدُ أَنَّ الاعتِباراتِ التي قادَتِ المُفَسِّرَ إلى افتِراضِ وُجودِ (إضمارٍ) ذاتُ طَبيعَةٍ دَلالِيَّةٍ ولَها صِلَةٌ بِالقَصدِ الضِّمنِيِّ[4].

(١) أَبو عُبَيدَة، **مَجازُ القُرآن**: ١/٣.

(٢) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, pp. 237-238.

(٣) مُقاتِلُ بنُ سُلَيمان، **تَفسيرُ مُقاتِلِ بنِ سُلَيمان**: ٢/٤٨٥.

(٤) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, pp. 235-236.

ويُشيرُ فرستيخ إلى أنَّ مُقاتِلَ بنَ سُلَيمانَ يُوردُ في قائمَةِ أَنماطِ النَّصِّ في مُقَدِّمَةِ تَفسيرِهِ (الإضمارَ) ومَعَهُ (التَّمامُ)، والتَّفسيرُ الواضِحُ لَهُما هوَ أَنَّ (الإضمارَ) يتعلَّقُ بِالحَذفِ، في حينِ أَنَّ (التَّمامَ) يَدُلُّ على الآياتِ التي يَكونُ مَعنى النَّصِّ فيها واضِحًا أَو صَريحًا[1].

ث. القَولُ بِالتَّقديم:

مِن أَشهَرِ مَن استَعمَلَ هذهِ الآلِيَّةَ التَّفسيرِيَّةَ مِن المُفَسِّرينَ الأَوائلِ وظَهَرَ عِندَهُ مُصطَلَحُها مُقاتِلُ بنُ سُلَيمانَ. وقَد بَيَّنَ فرستيخ أَنَّ مِمّا يَدُلُّ عَليهِ مُصطَلَحُ (التَّقديم) عِندَ مُقاتِلٍ ظاهِرَتَيْنِ تتَضَمَّنانِ التَّرتيبَ الدَّلاليَّ أَو المَنطِقِيَّ في الجُملَةِ؛ إحداهُما ظاهِرَةُ (عَكس النَّسَق hysteronproteron)؛ والأُخرى ظاهِرَةُ (الاستِباق prolepsis). فمِن أَمثِلَةِ استِعمالِ مُقاتِلٍ ظاهِرَةَ عَكسِ النَّسَقِ قَولُهُ في قَولِهِ تَعالى: ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم﴾(يوسف: ٧١): «فيها تَقديمٌ، يَقولُ: وأَقبَلوا عَلى المُنادي ثُمَّ قالوا»[2]. ومِن الواضِحِ أَنَّ الدّافِعَ إلى الإشارَةِ إلى وُجودِ تَقديمٍ في الآيَةِ هوَ أَنَّ التَّرتيبَ المَنطِقِيَّ لِلأَفعالِ المذكورَةِ فيها جاءَ مَعكوسًا. أَمّا في ظاهِرَةِ الاستِباقِ فإنَّ (التَّقديم) يَعني أَنَّ نَتيجَةَ الفِعلِ مَعروضَةٌ بِوَصفِها واقِعَةً، كما في قَولِهِ تَعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾(الحجر: ٩٠)، إذ قالَ مُقاتِلٌ في تَفسيرِهِ: «فيها تَقديمٌ، يَقولُ: أَنزَلْنا المَثانيَ والقُرآنَ العَظيمَ كما أَنزَلْنا التَّوراةَ والإنجيلَ على النَّصارى واليَهودِ، فهُم المُقتَسِمونَ، فاقتَسَموا الكِتابَ»[3]، أَي إنَّهُم لَم يَكونوا مُقتَسِمينَ إلّا بَعدَ نُزولِ الكِتابِ[4].

خ. القَولُ بِالاشتِقاق:

ذَكَرَ فرستيخ أَنَّ بَعضَ التَّفاسيرِ المُتَقَدِّمَةِ تَشتَمِلُ عَلى أَمثِلَةٍ لِأَلفاظٍ رَجَّحَ بَعضُ مُفَسِّريها أَنَّها مُشتَقَّةٌ مِن أُصولٍ عَرَبِيَّةٍ، وأَنَّها لَيسَتْ أَعجَمِيَّةً. فالسُّدِّيُّ الكَبيرُ (ت. ١٢٨هـ)، على سبيلِ المِثالِ، يُفَسِّرُ اسمَ إبليسَ الذي يَذكُرُ أَنَّهُ كانَ اسمُهُ الحارِثَ، «وإنَّما سُمِّيَ إبليسَ حينَ أَبلَسَ مُتَحَيِّرًا»[5]، فأَصبَحَ اسمُهُ دالًّا عَلى ما حَدَثَ لَهُ.

بَل إنَّ فِكرَةَ إمكانِ استِعمالِ الاشتِقاقِ وَسيلَةً لاكتِشافِ المعنى (الحَقيقِيّ) لِلكلِمَةِ تُصبِحُ أَوضَحَ حينَ تُشتَقُّ كلِمَةٌ ككلِمَةِ (إنسان) مِن الجَذرِ ن-س-ي، إذ قالَ عَبدُ الرَّزّاقِ (ت. ٢١١هـ): «إنَّما سُمِّيَ الإنسانَ لأَنَّهُ عُهِدَ إلَيهِ فنَسِيَ»[6].

---

(١) يُنظَر: Versteegh, Kees, *Arabic grammar and Qurʾānic exegesis in early Islam*, p. 151.

(٢) مُقاتِلُ بنُ سُلَيمان، **تَفسيرُ مُقاتِلِ بنِ سُلَيمان**: ٣٤٤/٢.

(٣) المَصدَرُ نَفسُه: ٤٣٦/٢.

(٤) يُنظَر: Versteegh, Kees, "Grammar and Exegesis: The origins of Kufan Grammar and the *Tafsīr Muqātil*", p. 231.

(٥) السُّدِّيُّ الكبير، أَبو مُحَمَّد، **تَفسيرُ السُّدِّيِّ الكَبير**: ١٠٥.

(٦) الصَّنعانِيُّ، عَبدُ الرَّزّاق، **تَفسيرُ عَبدِ الرَّزّاق**: ٣٧٨/٢. ويُنظَر: Versteegh, Kees, "In search of meaning: Lexical explanations in the earliest Qurʾānic commentaries", pp. 58-59.

ثانيًا: البَحثُ الدَّلالِيُّ عِندَ اللُّغَوِيّينَ والنَّحوِيّين

يُفَرِّقُ فرستيخ بِدِقَّةٍ بينَ اللُّغَوِيِّينَ والنَّحوِيِّينَ؛ فاللُّغَوِيُّونَ هُم الذينَ يَنتَسِبونَ إلى اللُّغَةِ؛ والنَّحوِيُّونَ هُم الذينَ يَنتَسِبونَ إلى النَّحوِ. ومُصطَلَحُ (النَّحو) يَنصَرِفُ إلى مَعنَيَيْنِ؛ أَحَدُهُما عِلمُ النَّحوِ عُمومًا linguistics in general، (في مُقابَلَةِ اللُّغَةِ، أَي المُعجَمِيَّة lexicography، وهيَ دِراسَةُ مَعاني الكلِماتِ)؛ والآخَرُ عِلمُ التَّراكيب syntax (في مُقابَلَةِ الصَّرف أَو التَّصريف morphology، وهوَ دِراسَةُ الكلِماتِ مُستَقِلَّةً عَن التَّركيبِ)[1]. والذينَ قَصَدَهُم فرستيخ بِالنَّحوِيِّينَ عِندَ تَناوُلِهِ المَوروثَ النَّحويَّ بِالتَّحليلِ هُم المُنتَسِبونَ إلى (النَّحو) بِمَعنى عِلمِ النَّحوِ عُمومًا، أَي الذي يُقابِلُ (اللُّغَة)، فيَدخُلُ فيهِم بِذلكَ المُشتَغِلونَ بِعِلمِ التَّراكيبِ وبِعِلمِ الصَّرفِ أَو التَّصريفِ، لكِنَّ الحَقَّ هوَ أَنَّ عِنايَةَ فرستيخ انصَبَّتْ على التَّحليلِ الدَّلاليِّ لِلمَوروثِ التَّركيبيِّ لأَنَّ تَجَلِّياتِ مُصطَلَحِ (المَعنى) فيهِ فاعِلَةٌ ومُتَنَوِّعَةٌ، بِخِلافِ المَوروثِ الصَّرفِيِّ الذي لا نَجِدُ لِمُصطَلَحِ (المَعنى) فيهِ سِوى تَجَلٍّ واحِدٍ هوَ مَعنى الصِّيغَةِ الصَّرفِيَّةِ.

ولا يَخفى أَنَّ عِنايَةَ اللُّغَوِيِّينَ إنَّما تَنصَرِفُ إلى المَعنى المُعجَمِيِّ، في حينِ أَنَّ هِمَّةَ النَّحوِيِّينَ تَتَّجِهُ صَوبَ المَعنى الوَظيفِيِّ، بيدَ أَنَّ الذي دَعاني إلى جَمعِ الصِّنفَيْنِ في مَبحَثٍ واحِدٍ هوَ أَنَّهُما يُمَثِّلانِ بيئةً مُشتَرَكَةً هيَ بيئةُ عِلمِ العَرَبِيَّةِ. وفي الآتي بَيانُ اتِّجاهاتِ دِراسَةِ المَعنى في كِلا الصِّنفَيْنِ.

١. البَحثُ الدَّلالِيُّ عِندَ اللُّغَوِيّينَ

ذَكَرْنا آنِفًا أَنَّ مَجالَ بَحثِ عِلمِ اللُّغَةِ عِندَ القُدَماءِ هوَ دِراسَةُ المَعنى المعجَمِيِّ لِلكَلِماتِ. وقَد ذَكَرَ فرستيخ أَنَّ عِلمَ اللُّغَةِ في الإسلامِ تَطَوَّرَ مِن المُفرَداتِ الغَريبَةِ والصَّعبَةِ في القُرآنِ أَو أَحاديثِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ أَو كلِماتِ الموضوعاتِ، كالرَّسائلِ المختَلِفَةِ لأَسماءِ الإبِلِ، والخَيلِ، وما إلى ذلكَ، التي ابتَدَأَ العُلَماءُ تَأليفَها مِن القَرنِ الأَوَّلِ لِلهِجرَةِ في الإسلامِ فصاعِدًا، ثُمَّ تَطَوَّرَتْ هذهِ المفرَداتُ إلى مُعجَماتٍ حَقيقيَّةٍ ابتَدَأَتْ بِكِتابِ العَيْنِ لِلخَليلِ (ت. ١٧٥هـ)، وحَظِيَ العِلمُ الذي دَرَسَ المعانيَ المعجَمِيَّةَ بِاستِقلالٍ عَن عِلمِ النَّحوِ. صَحيحٌ أَنَّ مُعظَمَ النَّحوِيِّينَ دَرَسوا عِلمَ اللُّغَةِ في الوَقتِ نَفسِهِ الذي دَرَسوا فيهِ النَّحوَ، وأَنَّ مُعظَمَ اللُّغَوِيِّينَ، بِعَكسِ ذلكَ، كانوا ذَوي دُربَةٍ في النَّحوِ أَيضًا، بَيدَ أَنَّ المَوروثَ الإسلاميَّ أَبقى العِلمَيْنِ مُنفَصِلَيْنِ، فكانَ بِالإمكانِ، على سبيلِ المثالِ، أَن يُقالَ عَن أَحَدِ العُلَماءِ إنَّهُ كانَ مُجيدًا في النَّحوِ لكِنَّهُ جاهِلٌ في اللُّغَةِ. وخَلَصَ فرستيخ إلى أَنَّ هذا التَّقسيمَ لِلمُهِمّاتِ جَعَلَ إسهامَ المُعجَمِيَّةِ العَربِيَّةِ في تَطويرِ نَظَرِيَّةٍ دَلالِيَّةٍ ضَعيفًا[2].

---

(١) يُنظَر: Versteegh, Kees, "A sociological view of the Arab grammatical tradition: Grammarians and their professions", p. 291.

(٢) يُنظَر: فيرستيج، كيس، **أَعلامُ الفِكرِ اللُّغَوِيِّ (الجُزءُ الثّالِث): التَّقليدُ اللُّغَوِيُّ العَرَبِيّ**: ٥٠؛ و Versteegh, Kees, *Landmarks in Linguistic Thought III: The Arabic Linguistic Tradition*, pp. 18-19؛ و Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, p. 232.

وتَفسيرُ ذلكَ، عِندي، أَنَّ قَصرَ الدَّرسِ اللُغَوِيِّ عَلى دِراسَةِ المَعنى المُعجَمِيِّ جَعَلَهُ مُنكَفِئًا عَلى حَيِّزٍ دَلالِيٍّ مَحدودٍ لا يُجاوِزُهُ ولا يَنفَتِحُ عَلى آفاقٍ دَلالِيَّةٍ أَرحَبَ، بِخِلافِ الدَّرسِ النَّحوِيِّ الذي وإن كانَ مَجالُهُ الأَساسِيُّ دِراسَةَ المَعنى التَّركيبِيِّ فإنَّهُ استَوعَبَ المَعنى المُعجَمِيَّ استيعابَ وَسيلَةٍ لا غايَةٍ. وآيَةُ ذلِكَ ما ذَكَرَهُ فرستيخ مِن أَنَّ في كِتابِ سيبَوَيْهِ بابًا قَصيرًا جِدًّا، وقَريبًا جِدًّا مِن بِدايَتِهِ، خُصِّصَ لِلتَّلازُماتِ التي قَد تُوجَدُ بينَ الأَلفاظِ ومَعانيها[1]، وأَنَّ هذا البابَ يَتَحَدَّثُ عن ظاهِرَتَي الاشتِراكِ اللَفظِيِّ والتَّرادُفِ، إذ جاءَ في (باب اللَفظ لِلمَعاني) قَولُ سيبَوَيْهِ: «اعلَمْ أَنَّ مِن كَلامِهِم اختِلافَ اللَفظَيْنِ لاختِلافِ المعنَيَيْنِ، واختِلافَ اللَفظَيْنِ والمعنى واحِدٌ، واتِّفاقَ اللَفظَيْنِ واختِلافَ المعنَيَيْنِ ... فاختِلافُ اللَفظَيْنِ لاختِلافِ المعنَيَيْنِ هُوَ نَحوُ: جَلَسَ وذَهَبَ. واختِلافُ اللَفظَيْنِ والمعنى واحِدٌ نَحوُ: ذَهَبَ وانطَلَقَ. واتِّفاقُ اللَفظَيْنِ والمعنى مُختَلِفٌ قَولُكَ: وَجَدتُ عَلَيهِ، مِن المَوجِدَةِ، ووَجَدتُ، إذا أَرَدتَ وِجدانَ الضّالَّةِ. وأَشباهُ هذا كَثيرٌ»[2]. ثُمَّ عَقَّبَ فرستيخ عَلى هذا النَّصِّ بِقَولِهِ: «إنَّ المقصودَ بِـ(المَعنى) هُنا هوَ المَضمونُ الدَّلالِيُّ لِلوَحداتِ المُعجَمِيَّةِ، والمُتَعارَفُ أَنَّ هذا هوَ مَجالُ عِلمِ اللُغَةِ. عَلى أَنَّ النَّصَّ المُقتَبَسَ آنِفًا نَصٌّ استِثنائِيٌّ؛ ففي سائرِ الكِتابِ لا نَجِدُ سيبَوَيْهِ يَتَناوَلُ العَلاقَةَ بينَ الكلِماتِ ومَعانيها بَل يَتَّجِهُ كُلِّيًّا صَوبَ دِراسَةِ جَوانِبِ الكلامِ التَّركيبِيَّةِ والصَّرفِيَّةِ»[3]. وإطلاقُ فرستيخ الأَخيرُ هذا وإن صَدَقَ عُمومًا، فإنّا نَجِدُ في مَواضِعَ مِن **الكِتابِ** تَعَرُّضًا لِبَيانِ المَعنى المُعجَمِيِّ لِبَعضِ الكلِماتِ، لكِن لا عَلى سَبيلِ كَونِهِ مُرادًا لِذاتِهِ بَل عَلى سَبيلِ كَونِهِ وَسيلَةً إلى الغايَةِ الرَّئيسَةِ وهيَ بَيانُ الإعرابِ[4].

والمُفارَقَةُ أَنَّ هذا الذِّكرَ العَارِضَ لِتِلكَ القِسمَةِ المُعجَمِيَّةِ في كِتابِ سيبَوَيْهِ كانَ أَثَرُهُ كَبيرًا في المَوروثِ المُعجَمِيِّ؛ ذلِكَ بِأَنَّ المُصطَلَحَيْنِ اللَذَيْنِ عَبَّرَ بِهِما سيبَوَيْهِ عَن التَّرادُفِ والاشتِراكِ اللَفظِيِّ، وثُنائِيَّةَ الاختِلافِ والاتِّفاقِ التي اقتَرَنَتْ بِهِما، وثُنائِيَّةَ اللَفظِ والمعنى، أَصبَحَتْ، عَلى ما ذَكَرَ فرستيخ، مُعتَمَدَةً في المَوروثِ اللُغَوِيِّ العربيِّ، ونَحنُ وإن لَم نَكُن نَعلَمُ: أَحَقٌّ أَنَّ سيبَوَيْهِ كانَ أَوَّلَ نَحوِيٍّ يَستَعمِلُ هذهِ المُصطَلَحاتِ أَم لا، فبِوُسعِنا القَطعُ بِأَنَّ استِعمالَها في **الكِتابِ** أَسهَمَ في إشاعَتِها في المَوروثِ المُعجَمِيِّ[5].

٢. البَحثُ الدَّلالِيُّ عِندَ النَّحوِيّين

يَقودُنا استِقراءُ كِتاباتِ فرستيخ إلى تَمييزِهِ خَمسَةَ مُفاداتٍ لِمُصطَلَحِ (المَعنى) أَفرَزَها المَوروثُ النَّحوِيُّ العَرَبِيُّ، أَحَدُها المَعنى المُعجَمِيُّ الذي سَبَقَ أَن ذَكَرْنا أَنَّ حَيِّزَهُ فيهِ كانَ مَحدودًا جِدًّا واقتَصَرَ عَلى كَونِهِ وَسيلَةً لا غايَةً، فلا نُعيدُ القَولَ فيهِ. وثَمَّةَ مُفادٌ آخَرُ مِن مُفاداتِ المَعنى الأَربَعَةِ الأُخرى، هوَ الذي تَنصَرِفُ إليهِ (مَعاني الكلام)، سنُرجِئُ الحَديثَ عَنهُ إلى المَبحَثِ اللاحِقِ لأَنَّهُ وإن كانَ لَهُ وُجودٌ في المَوروثِ النَّحوِيِّ فإنَّهُ كانَ وُجودًا ضامِرًا لَم تُبْنَ عَلَيهِ نَتائِجُ

(١) يُنظَر: Versteegh, Kees, "A dissenting grammarian: Quṭrub on declension", p. 410.

(٢) سيبَوَيْهِ، عَمرو بنُ عُثمان، **الكِتاب**: ١/٢٤.

(3) Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, pp. 241-242.

(٤) كما في بابِ (ذِكر مَعنى لَبَّيْكَ وسَعدَيْكَ وما اشتُقّا مِنهُ) في الكِتابِ، عَلى سبيلِ المِثالِ. يُنظَر: سيبَوَيْهِ، عَمرو بنُ عُثمان، **الكِتاب**: ١/٣٥٣.

(٥) يُنظَر: Versteegh, Kees, "Ibn aš-Šajarī, *Mā ttafaqa lafẓuhu wa-ḫtalafa maʿnāhu*", p. 236.

كبيرَةٌ، بِخِلافِ حُضورِهِ في المَوروثَيْنِ الأُصولِيِّ والبَلاغِيِّ، فإنَّهُ كانَ حُضورًا فاعِلًا أَثْمَرَ نَتائجَ مُهِمَّةً في كِلا المَوروثَيْنِ. فبَقِيَتْ لَدَينا ثَلاثَةُ مُفاداتٍ لِلمَعنى، هيَ الآتِيَةُ:

أ. استِعمالُ (المَعنى) بِوَصفِهِ مَعنى الفَصيلَةِ النَّحويَّة

ذَكَرْنا آنِفًا أَنَّ المَقصودَ بِالنَّحويِّينَ في هذا المَبحَثِ، طِبقًا لِما يَراهُ فرستيخ، المُشتَغِلونَ بِكُلٍّ مِن عِلمِ التَّراكيبِ وعِلمِ الصَّرفِ. وعَدَمُ الفَصلِ بينَ العِلمَيْنِ يُوائمُ أَحدَثَ الآراءِ في اللِسانِيّاتِ، تِلكَ الآراءِ التي تَنُصُّ عَلى أَنَّ عِلمَ الصَّرفِ ليسَ إلّا خطوَةً تَمهيدِيَّةً لِعِلمِ التَّراكيبِ الذي هوَ أَشبَهُ ما يَكونُ بِبِناءٍ كبيرٍ مادَّتُهُ الوَحداتُ الصَّرفِيَّةُ[1]. ومِن ذَيْنِكُم الفَرعَيْنِ العِلمِيَّيْنِ مَعًا تَنتُجُ الفَصائلُ النَّحويَّةُ كفَصائلِ (العَدَد)، و(الجِنس)، و(التَّعريف والتَّنكير)، و(الزَّمَن)، و(الاشتِقاق)، و(المَعاني الوَظيفِيَّة)[2].

وفي هذا السِّياقِ ذَكَرَ فرستيخ أَنَّ مُصطَلَحَ (المَعنى) في التَّحليلاتِ الصَّرفِيَّةِ-التَّركيبِيَّةِ يَدُلُّ على المُلازِمِ الدَّلاليِّ لِفَصيلَةٍ صَرفِيَّةٍ-تَركيبِيَّةٍ مُستَقِلَّةٍ عن المُتَكلِّمِ. ويُمَثِّلُ لِلمَعاني الصَّرفِيَّةِ-التَّركيبِيَّةِ بِفِقرَةٍ مِن حَديثٍ لِلزَّجّاجِيِّ (ت. ٣٣٧هـ) عَن وَظيفَةِ الإعرابِ في الكلامِ، يَقولُ فيها: «إنَّ الأَسماءَ لَمّا كانَت تَعتَوِرُها المَعاني، فتَكونُ فاعِلَةً، ومَفعولَةً، ومُضافَةً، ومُضافًا إلَيها، ولَم تَكُنْ في صُوَرِها وأَبنِيَتِها أَدِلَّةً على هذهِ المعاني بَل كانَتْ مُشتَرِكةً، جُعِلَتْ حَرَكاتُ الإعرابِ فيها تُنبِئُ عَن هذهِ المعاني»[3]. فـ (المَعاني) المذكورَةُ في هذهِ الفِقرَةِ هيَ الوَظائفُ التي يُمكِنُ أَن تُؤَدِّيَها الأَسماءُ في الجُملَةِ - أَي أَدوارُها التَّركيبِيَّةُ - وعلى الرَّغمِ مِن أَنَّ المُتَكلِّمَ هوَ في نِهايَةِ المَطافِ المُتَلَفِّظُ بِحَرَكاتِ الإعرابِ والمسؤولُ عَن استِعمالِها، لا يُمكِنُ أَن يُؤَثِّرَ فِعلُ المُتَكلِّمِ هذا في التَّلازُمِ بينَ الشَّكلِ والوَظيفَةِ بِأَيِّ حالٍ مِن الأَحوالِ. فالصَّحيحُ أَنَّ استِعمالَها هوَ الذي يَعتَمِدُ على قَوانينِ اللُغَةِ، لا العَكسُ. وتَتَّضِحُ الصِّلَةُ بينَ الوَظيفَةِ الدَّلاليَّةِ والدَّورِ التَّركيبيِّ حينَ نُقارِنُ بينَ حَرَكاتِ الإعرابِ في الاسمِ وحَرَكاتِ الإعرابِ في الفِعلِ. إذ تَقضي نَظَريَّةُ النَّحويِّينَ العَرَبِ بِأَنَّ الأَفعالَ مَبنِيَّةٌ، بَيدَ أَنَّ وُجودَ شَبَهٍ مَزعومٍ لِلأَفعالِ المُضارِعَةِ بِالأَسماءِ جَعَلَها تَكتَسِبُ تَبَعًا لِذلكَ أَحَقِّيَّةَ الإعرابِ. والفَرقُ بينَ حَرَكاتِ الإعرابِ في الاسمِ وحَرَكاتِ الإعرابِ في الفِعلِ هوَ أَنَّ حَرَكاتِ الإعرابِ في الاسمِ تَدُلُّ على وَظائفَ تَركيبِيَّةٍ كـ(الفاعِلِيَّة) و(المفعولِيَّة)، في حينِ أَنَّ حَرَكاتِ الإعرابِ في الفِعلِ نَتائجُ لأَثَرِ العامِلِ لكِنَّها لا تُشيرُ إلى أَيَّةِ وَظيفَةٍ تَركيبِيَّةٍ، فنَصبُ الفِعلِ يَكونُ بَعدَ الحَرفِ (أَن) لكِن لا دَورَ لَهُ في الجُملَةِ. وقَد صَرَّحَ بِذلكَ الزَّمَخشَرِيُّ (ت. ٥٣٨هـ) إذ قالَ: «لَيسَتْ هذهِ الوُجوهُ بِأَعلامٍ عَلى مَعانٍ كوُجوهِ إعرابِ الاسمِ»[4].

---

(١) يُنظَر: بِشر، الدُّكتور كمال محمَّد، **دِراساتٌ في عِلمِ اللُغَة (القِسمُ الأَوَّل)**: ٣٠.

(٢) يُنظَر: ياقوت، أَحمَد سُلَيمان، **ظاهِرَةُ الإعرابِ في النَّحوِ العَرَبِيِّ وتَطبيقُها في القُرآنِ الكَريم**: ٢١.

(٣) الزَّجّاجِيُّ، أَبو القاسِم، **الإيضاحُ في عِلَلِ النَّحو**: ٦٩.

(٤) الزَّمَخشَرِيُّ، أَبو القاسِم، **المُفَصَّلُ في صَنعَةِ الإعراب**: ٣١٤. ويُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, pp. 247-248.

ب. استِعمالُ (المَعنى) بِوَصفِهِ المَعنى المُقَدَّر

ذَكَرَ فرستيخ مُفادًا آخَرَ يَنصَرِفُ إليهِ المَعنى عِندَ النَّحوِيِّينَ البَصرِيِّينَ، هوَ (التَّقديرُ)، أَي إعادَةُ بِناءِ الجُملَةِ المُقَدَّرَةِ. وبَيَّنَ أَنَّ سيبَوَيْهِ لَم يَستَعمِلْ في **الكِتاب** مُصطَلَحَ (التَّقدير) بِمَعنى (المُستَوى المُقَدَّر)، لكنَّهُ أَصبَحَ المُصطَلَحَ المِعياريَّ في كُتُبِ النَّحوِ اللاحِقَةِ، وحَلَّ مَحلَّ مُصطَلَحِ (التَّمثيل) الذي استَعمَلَهُ سيبَوَيْهِ لإعادَةِ البِناءِ النَّحوِيَّةِ لِلمُستَوى المُقَدَّر. ورَأَى فرستيخ أَن لا بُدَّ مِن أَن تَكونَ لافتِراضِ مُستَوًى مُقَدَّرٍ عَلاقَةٌ بِالوَصفِ البِنيَوِيِّ لِلجُملَةِ، وأَنَّ الدّافِعَ الرَّئيسَ لِلنَّحوِيِّينَ إلى اللُجوءِ إليهِ هوَ تَفسيرُ البِنيَةِ العامِلِيَّةِ لِلجُملَةِ الظّاهِرَةِ. إذ يُقارِنُ ابنُ السَّرّاجِ (ت. ٣١٦هـ)، على سبيلِ المِثالِ، بينَ قِراءَتَيْنِ مُختَلِفَتَيْنِ لِقَولِهِ تَعالى: ﴿مَالَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ (الأعراف: ٥٩)، بِضَمِّ الرّاءِ فيهِ مِن كَلِمَةِ ﴿غَيْرُهُۥ﴾ وبِكَسرِها، فيَذكُرُ أَنَّ الفَرقَ بَينَ القِراءَتَيْنِ يَكمُنُ في حَرَكَةِ الإعرابِ (غَيْرُهُ)، و(غَيْرِهِ)، ويَستَنتِجُ أَنَّ القِراءَةَ الأُولى جاءَتْ عَلى المَعنى، في حينِ أَنَّ القِراءَةَ الثّانِيَةَ جاءَتْ عَلى اللَفظِ[1]. ويَرى فرستيخ أَنَّ مِن الواضِحِ عَدَمَ وُجودِ صِلَةٍ لِعِبارَةِ (عَلى المَعنى) في هذا السِّياقِ بِالبِنيَةِ الدَّلاليَّةِ لِلجُملَةِ، ولا بِقَصدِ المُتَكلِّمِ، بَل لا بُدَّ مِن تَأويلِها هُنا بِمَعنى أَنَّ مَعنى الجُملَةِ هوَ تَمثيلٌ مُقَدَّرٌ لَهُ الصِّيغَةُ الآتِيَةُ: ما لَكُم إلهٌ غَيرُهُ، فالاسمُ المرفوعُ (غَيرُهُ) يَتْبَعُ إذَن الاسمَ المرفوعَ المُقَدَّرَ (إلهٌ)، في حينِ أَنَّ الاسمَ المجرورَ (غَيرِهِ) يَتْبَعُ إعرابَ الصِّيغَةِ الظّاهِرَةِ (مِن إلهٍ). فـ (المعنى) حينَ يُستَعمَلُ في هذا السِّياقِ يَكونُ مُطابِقًا لِلمُستَوى المُقَدَّرِ.

ويَنتَهي فرستيخ إلى أَنَّهُ لا شَكَّ في أَنَّ الاستِعمالَ الأَصليَّ لِـ (المعنى) بِوَصفِهِ قَصدَ الآيَةِ القُرآنيَّةِ الذي أُعيدَ بِناؤُهُ أَو أُعيدَتْ صِياغَتُهُ وَراءَ هذا الاستِعمالِ في النَّحوِ، فقَد مَرَّ بِنا قَولُ أَوائلِ المُفَسِّرينَ بِـ (الإضمار) لِلكَشفِ عَن قَصدِ المُتَكلِّمِ الذي لَهُ مَيلٌ إلى عَدَمِ الإفصاحِ التّامِّ عَن قَصدِهِ، وعَدَمِ إبلاغِها التّامِّ. ونَتيجَةُ (الإضمار) أَنَّ الأَقوالَ الظّاهِرَةَ لا تُناظِرُ تَمامًا الرِّسالَةَ المقصودَةَ، فيَعمِدُ المُفَسِّرُ إلى (إبطال) أَثَرِ عَمَلِيَّةِ الإخفاءِ مِن خِلالِ إضافَةِ كلِماتٍ أَو حَذفِها أَو تَغييرِها في القَولِ الظّاهِرِ مِن أَجلِ الكَشفِ عَن المعنى المقصودِ. وبِذلكَ، يَتَّضِحُ الفَرقُ بينَ (الإضمار) عِندَ أَوائلِ المُفَسِّرينَ ونَظيرِهِ (التَّقدير) عندَ النَّحوِيِّينَ؛ فالباعِثُ عَلى (الإضمار) عِندَ أَوائلِ المُفَسِّرينَ الرَّغبَةُ في الكَشفِ عَن قَصدِ المُتَكلِّمِ بِالنَّصِّ، في حينِ أَنَّ ما دَفَعَ النَّحوِيِّينَ إلى (التَّقدير) هوَ تَفسيرُ بِنيَةِ الكلامِ الظّاهِرَةِ في الحالاتِ التي لا تُوافِقُ فيها الحَرَكاتُ الإعرابِيَّةُ في الجُملَةِ الظّاهِرَةِ قَواعِدَ النَّحوِ المُتَعارَفَةَ، أَو لا يُمكِنُ تَفسيرُها بِمُساعَدَةِ هذهِ القَواعِدِ[2].

ت. استِعمالُ (المَعنى) بِوَصفِهِ المَعنى التَّجريديّ

الاستِعمالُ الثّالِثُ الذي أَورَدَهُ فرستيخ لِمُصطَلَحِ (المَعنى) عِندَ النَّحوِيِّينَ هوَ الذي يَرِدُ في التَّركيبِ الإضافِيِّ (اسم المَعنى). فالاسمُ يُقسَمُ عِندَ مُتَأَخِّري النَّحوِيِّينَ على قِسمَيْنِ: اسم العَيْن، واسم المَعنى، إذ قالَ ابنُ جِنِّي (ت. ٣٩٢هـ) على سبيلِ المِثالِ: «المَصادِر أَجناسٌ لِلمَعاني كما غَيرُها أَجناسٌ لِلأَعيانِ نَحو (رَجُل) و(فَرَس) و(غُلام) و(دار)

(١) يُنظَر: ابنُ السَّرّاج، **الأُصولُ في النَّحو**: ٩٤/١. وقِراءَةُ الكسرِ لأَبي جَعفَرٍ والكِسائيِّ، وقِراءَةُ الضَّمِّ لِلباقِينَ. يُنظَر: ابنُ الجَزَريّ، **النَّشر في القِراءاتِ العَشر**: ٢٧٠/٢.

(٢) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, pp. 244-245.

و(بُستان)»[1]. فمِن الواضِحِ أَنَّ مُصطَلَحَ (المَعاني) في هذهِ الفِقرَةِ المُقتَبَسَةِ لا يُمكِنُ تَأويلُهُ بِـ (المُكَوِّنات الدَّلالِيَّة)، بَل يَدُلُّ على مَفهومٍ تَجريدِيٍّ كالحَدَثِ الذي يَدُلُّ عليهِ جَذرُ الفِعلِ.

وذَكَرَ فرستيخ أَنَّ الفِقرَةَ المُقتَبَسَةَ آنِفًا تَرِدُ في بابٍ يُقَدِّمُ فيهِ ابنُ جِنِّي أَمثِلَةً لِـ (تَعليق الأَعلامِ عَلى المَعاني دونَ الأَعيان)، ورَأى أَنَّ غَرَضَهُ يَتَّضِحُ حينَ نُدرِكُ أَنَّ مُصطَلَحَ (العَيْن)، الذي عادَةً مّا يَعني (الشَّخص)، يُستَعمَلُ هُنا لِـ (المفهوم المَحسوس). ويُقارِنُ المُؤَلِّفُ عَلاقَةَ المَصدَرِ بِـ(المَعنى) بِعَلاقَةِ اسمِ الجِنسِ بِالشَّيءِ المَحسوسِ. وهوَ في كِلتا الحالَتَيْنِ يُسَمِّي اللَفظَ (عَلَمًا). ومِن أَمثِلَةِ العَلَمِ الأُخرى أَسماءُ الأَعدادِ حينَ تُستَعمَلُ في العَدِّ التَّجريدِيِّ، كقَولِنا: الثَّلاثَةُ نِصفُ السِّتَّةِ. ففي هذهِ الحالَةِ، يُؤَدِّي اسمُ العَدَدِ وَظيفَةَ العَلَمِ لِلعَدَدِ، «فصارَ هذا اللَفظُ عَلَمًا لِهذا المَعنى»[2]. ومَفهومُ (العَلَم) يُطَبَّقُ أَيضًا على أَلفاظِ الصِّيَغِ في النَّحوِ، إذ يَقولُ النَّحويُّونَ، على سبيلِ المِثالِ، إنَّ صيغَةَ (أَفعَل) تُستَعمَلُ لِصِفاتِ الأَلوان. ففي هذهِ الحالَةِ، يَكونُ اللَفظُ (أَفعَلُ) مُستَعمَلًا بِوَصفِهِ عَلَمًا لِـ (المَعنى)، أَي مَفهومًا تَجريدِيًّا[3].

ثالثًا. البَحثُ الدَّلالِيُّ عِندَ البَلاغِيِّينَ والمَناطِقَة

عالَجَتْ كِتاباتُ فرستيخ مُشتَرَكاتِ البَحثِ الدَّلالِيِّ بَينَ البَلاغِيِّينَ والمَناطِقَةِ مِن جانِبَيْنِ؛ أَحَدُهُما الجَدَلُ بِشَأنِ ثُنائِيَّةِ (اللَفظ/المَعنى) وأَفضَلِيَّةِ أَحَدِهِما عَلى الآخَرِ؛ والجانِبُ الآخَرُ هوَ المُتَعَلِّقُ بِما سُمِّيَ في المَوروثِ اللُغَوِيِّ العَرَبِيِّ (مَعانِي الكلام). وفي الآتي الكلامُ عَلى كُلِّ جانِبٍ على حِدَةٍ:

١. استِعمالُ (المَعنى) في ثُنائِيَّةِ (اللَفظ / المَعنى)

تَحَدَّثَ فرستيخ عَن احتِمالِ أَن يَكونَ الجَدَلُ الذي دارَ بينَ مُتَقَدِّمِي النُّقّادِ والبَلاغِيِّينَ بِشَأنِ ثُنائِيَّةِ (اللَفظِ/المَعنى) قَد أَثَّرَ في الجَدَلِ الذي دارَ بينَ النَّحوِيِّينَ والمَناطِقَةِ بِشَأنِ ثُنائِيَّةِ (الكلام / الفِكر). إذ رَأى فرستيخ أَنَّ المَقصودَ بِـ (المَعنى) في ثُنائِيَّةِ (اللَفظ / المَعنى) عِندَ مُتَقَدِّمِي النُّقّادِ والبَلاغِيِّينَ شَيءٌ يَرتَبِطُ بِالمَفاهيمِ التي هِيَ مُلازِمَةٌ لِلأَشياءِ في العالَمِ غَيرِ اللُغَوِيِّ، وأَنَّ هذا الاستِعمالَ لِلمُصطَلَحِ شائِعٌ في النَّظريَّةِ الأَدبيَّةِ العربيَّةِ التي كانَتْ إحدى أَسخَنِ مَسائِلِها مَسأَلَةَ أَوَّلِيَّةِ (اللَفظ) أَو (المَعنى). ففي هذهِ النِّقاشاتِ، تَجِدُ الثُّنائِيَّةُ المذكورَةُ تَأويلًا خاصًّا: فاللَفظُ هوَ التَّعبيرُ اللُغَوِيُّ عَن (مَعنًى) غَيرِ لُغَوِيٍّ. ومِن الواضِحِ أَنَّ (المَعنى) حينَ يَدُلُّ على قَصدِ المُتَكلِّمِ يَكونُ بِإمكانِ المَرءِ عَدُّ هذا القَصدِ (رِسالَةً ما قَبلَ لُغَوِيَّةٍ) تُقَدِّمُ المادَّةَ الأَوَّلِيَّةَ لِلصِّياغَةِ اللَفظِيَّةِ، أَو يُمكِنُ عَدُّهُ بِتَعبيرٍ أَكثَرَ غُموضًا (أَفكارَ) المُتَكلِّمِ. وخَيرُ ما يُعَبِّرُ عَن هذا الاستِعمالِ لِمُصطَلَحِ (المَعنى) القَولُ المَشهورُ لِلجاحِظِ (ت. ٢٥٥هـ): «المَعاني مَطروحَةٌ في الطَّريقِ يَعرِفُها الجَميعُ والعَرَبِيُّ والبَدَوِيُّ والقَرَوِيُّ، وإِنَّما الشَّأنُ في إقامَةِ الوَزنِ وتَخَيُّرِ اللَفظِ»[4]. وبالضِّدِّ مِن ذلكَ، حينَ يَستَعمِلُ اللُغَوِيُّونَ

(١) يُنظَر: ابنُ جِنِّي، **الخَصائص**: ٢٠٨/٢.

(٢) يُنظَر: المَصدَرُ نَفسُه: ٢٠٠/٢.

(٣) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, p. 250.

(٤) الجاحِظ، عَمرو بنُ بَحر: **الحَيَوان**: ٦٧/٣.

والمُفَسِّرونَ العَرَبُ مُصطَلَحَ (المَعنى) لِقَصدِ المُتَكلِّمِ يَكونونَ ناظِرينَ إلى هذا القَصدِ بِوَصفِهِ شَيئًا ذا طَبيعَةٍ لَفظِيَّةٍ: فالقَصدُ هوَ ما يَرغَبُ المَرءُ فِعلِيًّا في قَولِهِ، لا ما يُفَكِّرُ فيهِ[1].

وفي القَرنَيْنِ الثّالثِ والرّابعِ لِلهِجرَةِ، أَصبَحَتْ عُلومُ اليونانِ مَعروفَةً في العالَمِ العربيِّ والإسلاميِّ مِن خِلالِ تَرجَماتِ الكُتُبِ المنطقيَّةِ والفَلسَفِيَّةِ اليونانيَّةِ التي أَصبَحَتْ مُعطَياتُها مادَّةَ جَذبٍ لِعُلَماءِ عِدَّةِ عُلومٍ مِنها عِلما النَّحوِ والمَنطِقِ. لكِنْ حتّى النَّحويُّونَ الذينَ انقادوا لِلوافِدِ الجَديدِ لَم يُغادِروا تَخَصُّصَهُم تَمامًا، أَمّا المناطِقَةُ فقَد اتَّخَذوا مَوقِفًا يَفوقُ كَثيرًا ذلكَ الموقِفَ تَطَرُّفًا. ففي عامِ ٣٢٠هـ، وَقَعَتْ مُناظَرَةٌ مَشهورَةٌ بينَ مُمَثِّلٍ لِـ (المَذهَبِ الجَديد) لِلمَناطِقَةِ هوَ مَتّى بنُ يونُسَ (ت. ٣٢٨هـ)، ومُمَثِّلٍ لِلنَّحويِّينَ التَّقليديِّينَ هوَ السِّيرافِيُّ (ت. ٣٦٨هـ) الشّارِحُ المشهورُ لِكِتابِ سيبَوَيْهِ. وتُقَدِّمُ لَنا هذهِ المُناظَرَةُ إضاءَةً فَريدَةً بِشأنِ النِّقاشِ الدّائِرِ حَولَ العَلاقَةِ بينَ المَنطِقِ والنَّحوِ التي اختُزِلَتْ في هذهِ المُناظَرَةِ في ثُنائيَّةِ (اللَفظ / المَعنى). فقَد استَنَدَ المناطِقَةُ إلى مَفهومٍ مَعلوميَّةِ (المعاني) الذي كانَ قَد باتَ شائعًا في الجَدَلِ الدّائِرِ بينَ نُقّادِ الأَدَبِ، فزَعَموا أَنَّ مُهِمَّتَهُم دِراسَةُ (المَعاني) لأَنَّها مُتَماثِلَةٌ عِندَ كُلِّ الأَقوامِ وفي جَميعِ اللُغاتِ. أَمّا النَّحويُّونَ فرَضُوا بِدِراسَةِ التَّعبيرِ عن هذهِ (المعاني) بِـ(أَلفاظ) في لُغَةٍ مَخصوصَةٍ.

والتَّقابُلُ بينَ الفَريقَيْنِ مُعَبَّرٌ عنهُ تَعبيرًا جيِّدًا جِدًّا في الفِقرَةِ الآتِيَةِ المُقتَبَسَةِ مِن نَصِّ المُناظَرَةِ. إذ يَقولُ مَتّى بنُ يونُسَ: «هذا نَحوٌ، والنَّحوُ لَم أَنظُرْ فيهِ لأَنَّهُ لا حاجَةَ بِالمَنطِقِيِّ إليهِ، وبِالنَّحويِّ حاجَةٌ شَديدَةٌ إلى المَنطِقِ لأَنَّ المَنطِقَ يَبحَثُ عن المَعنى والنَّحو يَبحَثُ عَن اللَفظِ، فإن مَرَّ المَنطِقِيُّ بِلَفظٍ فبِالعَرَضِ، وإن عَثَرَ النَّحويُّ بِالمَعنى فبِالعَرَضِ. والمَعنى أَشرَفُ مِن اللَفظِ، واللَفظُ أَوضَعُ مِن المَعنى»[2]. فكانَ رَدُّ السِّيرافِيِّ على النَّحوِ الآتي: «والنَّحوُ مَنطِقٌ ولكِنَّهُ مَسلوخٌ مِن العربيَّةِ، والمَنطِقُ نَحوٌ ولكِنَّهُ مَفهومٌ بِاللُغَةِ، وإنَّما الخِلافُ بينَ اللَفظِ والمَعنى أَنَّ اللَفظَ طَبيعِيٌّ والمَعنى عَقلِيٌّ»[3].

فالفَرقُ بينَ المُقارَبَتَيْنِ واضِحٌ، وكذلكَ الفَرقُ في المَوقِفِ مِن (المَعاني). فالمَعنى عِندَ المَنطِقِيِّ مُرتَبِطٌ بِقَوانينِ التَّفكيرِ الكُلِّيَّةِ وبِالمَفاهيمِ الكُلِّيَّةِ، وهذهِ تُشَكِّلُ مَجالَ المَنطقيِّ الذي لا تُهِمُّهُ كيفِيَّةُ التَّعبيرِ عن هذهِ المَعاني في اللُغَةِ المَعنِيَّةِ. أَمّا النَّحويُّ فلا يُسَلِّمُ بِصِحَّةِ هذا الزَّعمِ، فالمَعنى عِندَهُ مُرتَبِطٌ على الدَّوامِ ارتِباطًا وَثيقًا بِاللَفظِ، وهوَ لِذلكَ يُقَرِّرُ أَنَّ «النَّحو مَنطِق»، فالنَّحويُّونَ مَعنِيُّونَ على الدَّوامِ بِمَعاني لُغَتِهِم، والنَّحوُ بِهذا الاعتِبارِ مَنطِقٌ فِعلًا[4].

وما مِن شَكٍّ في أَنَّ أَكثَرَ المناطِقَةِ تَأثيرًا هوَ الفارابيُّ (ت. ٣٣٩هـ)، المُعَلِّمُ الثّاني، كما كانَ يُسَمّى، وكانَ يَرى أَنَّ المناطِقَةَ لا النَّحويِّينَ هُم الذينَ يَدرُسونَ مَعانيَ الأَلفاظِ، أَي أَنَّ المنطِقَ يُقَدِّمُ قَوانينَ الأَلفاظِ في جَميعِ اللُغاتِ، أَمّا النَّحوُ

(١) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, p. 250.

(٢) التَّوحيدِيُّ، أَبو حَيّان: **الإمتاعُ والمُؤانَسَة**: ١/١١٤.

(٣) المَصدَرُ نَفسُه: ١/١١٥.

(٤) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, pp. 253-254.

فيُعنى بِألفاظِ كُلِّ لُغَةٍ على حِدَةٍ. فجَميعُ القَوانينِ النَّحويَّةِ يَجِبُ أَن تُوافِقَ القَوانينَ المنطقيَّةَ الكُلِّيَّةَ[١]. وقالَ الفارابيُّ مُحَدِّدًا العَلاقَةَ بينَ المنطِقِ والنَّحوِ: «وهذهِ الصِّناعَةُ تُناسِبُ صِناعَةَ النَّحوِ وذلكَ أَنَّ نِسبَةَ صِناعَةِ المنطِقِ إلى العَقلِ والمَعقولاتِ كنِسبَةِ صِناعَةِ النَّحوِ إلى اللِسانِ والأَلفاظِ، فكُلُّ ما يُعطينا عِلمُ النَّحوِ مِن القَوانينِ في الأَلفاظِ فإنَّ عِلمَ المَنطِقِ يُعطينا نَظائرَها في المَعقولاتِ»[٢]. ففي تَقسيمِ المُهِمّاتِ هذا نَرى ثانِيَةً أَنَّ دِراسَةَ قَواعِدِ الأَلفاظِ تُحالُ على النَّحويِّ، أَمّا المنطِقِيُّ فيُعالِجُ المَعقولاتِ، أَي المَعانيَ (بالمَعنى المنطقيِّ)[٣].

٢. استِعمالُ (المَعنى) في (مَعاني الكلام)

يُستَعمَلُ تَعبيرُ (مَعاني الكَلام) لِلدَّلالَةِ على صِيَغِ الجُمَلِ: الجُملَةِ الاستِفهامِيَّةِ، والجُملَةِ الخَبَرِيَّةِ، وجُملَةِ التَّمَنِّي، وغَيرِها. ويُمكِنُ أَن تُقارَنَ صِيَغُ الكلامِ هذِهِ بِما يُسَمّى في التَّداوُلِيّاتِ الحَديثَةِ (الأَفعال الكلامِيَّة). والقائمَةُ النَّمَطِيَّةُ في المؤَلَّفاتِ النَّحويَّةِ تَشتَمِلُ على (المَعاني) الخَمسَةِ الآتِيَةِ: الخَبَرِ، والأَمرِ، والاستِفهامِ، والطَّلَبِ، والدُّعاءِ، لكِنْ تُوجَدُ قَوائمُ تتضمَّنُ فَصائلَ أَكثَرَ. ولأَنَّ لِـ(مَعاني الكلام) صِلَةً بِالطَّريقَةِ التي يَصوغُ بِها المُتَكلِّمُ رِسالَتَهُ، وهيَ ما يُشبِهُ مَفهومَ (الفِعل الكلامِيّ) الحَديثَ، يُمكِنُ القَولُ إنَّ ثَمَّةَ صِلَةً مُعَيَّنَةً لَها بِالاستِعمالِ العامِّ لِـ(المَعنى) بِوَصفِهِ قَصدَ المُتَكلِّمِ أَو مَضمونَ الرِّسالَةِ[٤].

وما يَبدو مِن اهتِمامٍ لِلمَناطِقَةِ بِصِيَغِ الكَلامِ تِلكَ إنَّما هوَ تَبَعٌ لاهتِمامِهِم بِمَعاني الأَلفاظِ؛ ذلِكَ بِأَنَّهُ «لَيسَ لِلمَنطِقِيِّ، مِن حَيثُ هوَ مَنطِقِيٌّ، شُغلٌ أَوَّلُ بِالأَلفاظِ ... ولَو أَمكَنَ أَن يُتَعَلَّمَ المَنطِقُ بِفِكرَةٍ ساذجَةٍ إنَّما تُلحَظُ فيها المَعاني وَحدَها لَكانَ ذلكَ كافِيًا»[٥].

فمِن هذا المُنطَلَقِ، نَجِدُ الفارابيَّ يَقسِمُ القَولَ، بَعدَ تَعريفِهِ بِأَنَّهُ لَفظٌ مُرَكَّبٌ دالٌّ عَلى جُملَةِ مَعنًى، عَلى تامٍّ وغَيرِ تامٍّ، ثُمَّ يُورِدُ قِسمَتَهُ الخُماسِيَّةَ لأَجناسِ القَولِ التّامِّ وهيَ: جازِمٌ، وأَمرٌ، وتَضَرُّعٌ، وطِلبَةٌ، ونِداءٌ، «والقَولُ الجازِمُ هوَ الذي يَصدُقُ أَو يَكذِبُ، وهوَ مُرَكَّبٌ مِن مَحمولٍ ومَوضوعٍ، والأَربَعَةُ الباقِيَةُ لا تَصدُقُ ولا تَكذِبُ إلّا بِالعَرَضِ»[٦]. ومِن الواضِحِ أَنَّ ما يُسَمِّيهِ الفارابيُّ هُنا (القَول الجازِم) هوَ ما يُسَمِّيهِ غَيرُهُ (الخَبَر أَو الإخبار)، أَمّا الأَربَعَةُ الباقِيَةُ فتُمَثِّلُ ما باتَ يُسَمّى لاحِقًا في عِلمِ المَعاني (الإنشاء). ونَجِدُهُ في مَوضِعٍ آخَرَ يُوَسِّعُ مَشمولاتِ الإنشاء، فيَذكُرُها على النَّحوِ الآتي: نِداءٌ، وتَضَرُّعٌ، وطِلبَةٌ، وإذنٌ، ومَنعٌ، وحَثٌّ، وكَفٌّ، وأَمرٌ، ونَهيٌ[٧].

---

(١) يُنظَر: Versteegh, Kees, "Farabi, Abu Nasr Muhammad ibn Muhammad al-", p. 449.

(٢) الفارابيُّ، أَبو نَصر: **إحصاءُ العُلوم**: ٢٣.

(٣) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, p. 258.

(٤) يُنظَر: المَصدَرُ نَفسُه: p. 251.

(٥) ابنُ سينا، **الشِّفاء: المَنطِق (١- المدخَل)**: ٢٢.

(٦) الفارابيُّ، أَبو نَصر: **كِتابٌ في المَنطِق (العِبارَة)**: ١٧.

(٧) يُنظَر: الفارابيُّ، أَبو نَصر: **كِتابُ الحُروف**: ١٦٢.

أَمّا ابنُ سينا (ت. ٤٢٨هـ) فيَتحَدَّثُ عَن التَّركيبِ الخَبَرِيِّ ويُعَرِّفُهُ بِأَنَّهُ ما يُقالُ لِقائلِهِ إنَّهُ صادِقٌ في ما قالَهُ أَو كاذِبٌ، ثُمَّ يَقولُ: «أَمّا ما هوَ مِثلُ الاستِفهامِ، والالتِماسِ، والتَّمَنِّي، والتَّرَجِّي، والتَّعَجُّبِ، ونَحوِ ذلكَ، فلا يُقالُ لِقائلِهِ إنَّهُ صادِقٌ فيهِ أَو كاذِبٌ»[١]. ويُعَلِّقُ فرستيخ بِأَنَّ كُلَّ أَنواعِ القَولِ، ما عَدا الخَبَرَ، مُستَبعَدَةٌ مِن اهتِمامِ المَناطِقَةِ؛ لأَنَّ القَولَ الجازِمَ وَحدَهُ يتضَمَّنُ الصِّدقَ أَو الكذِبَ، وهوَ مَجالُ اهتِمامِهِم[٢].

وإذا كانَ اهتِمامُ المَناطِقَةِ مَقصورًا عَلى الخَبَرِ مِن مَعاني الكلامِ فإنَّ النَّحوِيِّينَ العَرَبَ لَم يُبدوا اهتِمامًا خاصًّا بِتَحليلِها، إذ اكتَفَوا بِذِكرِها في بِداياتِ مُصَنَّفاتِهِم ثُمَّ انطَلَقوا وكأَنَّ شَيئًا لَم يَكُنْ. بَل لَم يُعَلِّقوا قَطُّ على الفَرقِ بينَ الخَبَرِ بِوَصفِهِ (قَضِيَّةً proposition) والخَبَرِ بِوَصفِهِ (مَحمولًا predicate). لكِن يُخطِئُ مَن يَظُنُّ أَنَّ المُجتَمَعَ الإسلاميَّ لَم يَكُنْ فيهِ قَطُّ مَن يُعنى بِتَحليلِ أَفعالِ الكلامِ، إذ تَكَفَّلَ بِهِ بِحَماسَةٍ عِلمُ المَعاني، وهوَ الفَرعُ الأَوَّلُ مِن فُروعِ عِلمِ البَلاغَةِ الثَّلاثَةِ.

ويُمكِنُ استِنتاجُ أَهمِّيَّةِ دِراسَةِ مَعاني الكلامِ في كُتُبِ البَلاغِيِّينَ مِن عَدَدِ الصَّفَحاتِ المُخَصَّصَةِ لِهذا الموضوعِ في كِتابِ **مِفتاح العُلوم** لِلسَّكّاكِيِّ (ت. ٦٢٦هـ). إذ إنَّهُ يَتَناوَلُ الفَرقَ بينَ الخَبَرِ والطَّلَبِ بينَ الصَّفحَتَيْنِ ١٦٤ و١٧٥ مِن النُّسخَةِ المطبوعَةِ ومَعَ أَقسامِ الطَّلَبِ الثّانويَّةِ بينَ الصَّفحَتَيْنِ ٣٠٢ و٣٢٨. ويَزيدُ هذا القَدرُ أَضعافًا كثيرَةً على ما في أَيِّ كِتابٍ نَحوِيٍّ مِن كُتُبِ المرحَلَةِ الزَّمنيَّةِ السّابِقَةِ. وكانَ الابتِكارُ الرَّئيسُ في عِلمِ المَعاني هوَ تَقديمَ مُصطَلَحِ (الإنشاء)، وهوَ مُصطَلَحٌ يَرجِعُ اشتِقاقُهُ الأَصلِيُّ إلى أَداءِ الكلامِ ويَدُلُّ على الوَظيفَةِ الأَدائيَّةِ بِتَعبيراتٍ نَحوِ (بِعْتُكَ) و(أَنشَدتُّكَ اللهَ). وكانَتِ الثُّنائيَّةُ الأَساسيَّةُ عندَ مُؤَلِّفِينَ كالسَّكّاكِيِّ بينَ الخَبَرِ والطَّلَبِ، إذ مَثَّلَ الطَّلَبُ جَميعَ الأَقوالِ اللاخَبَرِيَّةِ (التَّمَنِّي، والاستِفهامِ، والأَمرِ، والنَّهيِ، والنِّداءِ)، فوَجَبَ إدراجُ المُصطَلَحِ الجَديدِ على نَحوٍ مّا في هذهِ القِسمَةِ[٣].

رابعًا. البَحثُ الدَّلالِيُّ عِندَ الأُصولِيِّين

ذَكَرَ فرستيخ أَنَّ مِن الأُمورِ الأَساسيَّةِ عندَ الأُصولِيِّينَ أَن يُمَهِّدوا لِدِراستِهِم لأُصولِ الفِقهِ بِإيضاحِ آرائِهِم في اللُّغَةِ بِوَصفِها ظاهِرَةً. فمِن أَجلِ تَسويغِ مَناهِجِهِم ومِن أَجلِ شَرعَنَةِ استِنتاجاتِهِم بِشَأنِ النَّتائجِ الشَّرعيَّةِ لِلنُّصوصِ، لا بُدَّ لَهُم مِن تَحديدِ طَبيعَةِ اللُّغَةِ والتَّواصُلِ[٤].

وعَزا فرستيخ إلى عِلمِ أُصولِ الفِقهِ مُهِمَّةَ تَقديمِ بَيانٍ لِلعَلاقَةِ الإحالِيَّةِ بينَ (اللَفظ) و(المَعنى). إذ يَقومُ الاستِدلالُ الشَّرعِيُّ في الإسلامِ على تَأويلِ الأَحكامِ المُدَوَّنَةِ في حالاتٍ قائمَةٍ التي يَنبَغي أَن يُثبِّتَ إمكانَ تَطبيقِها على حالاتٍ جَديدَةٍ نِظامٌ مِن القَواعِدِ القِياسيَّةِ. ولا بُدَّ لِمُقارَبَةٍ نَظريَّةٍ لِهذا النِّظامِ الشَّرعِيِّ مِن أَن تُعنى بِمَفاهيمَ نَحوِ مَفهومِ المَعنى

(١) ابنُ سينا، **الإشاراتُ والتَّنبيهات مَعَ شَرحِ نَصيرِ الدِّينِ الطُّوسِيّ**: ٢٢٣.

(٢) يُنظَر: Versteegh, Kees, "Meanings of speech: The category of sentential mood in Arabic grammar", p. 277.

(٣) يُنظَر: المَصدَرُ نَفسُه: pp. 277-279.

(٤) يُنظَر: Versteegh, Kees, "The linguistic introduction to Rāzī's *Tafsīr*", p. 591.

والعَلاقَةِ بينَ اللَفظِ والمَعنى. ففي دِراسَةِ (أُصول الفِقه) يَدورُ النِّقاشُ حَولَ العَلاقَةِ السِّيميائيَّةِ بينَ العَلامَةِ والمَرجِعِ، وبينَ اللَفظِ والمَعنى[١].

وبمُرورِ الوَقتِ، تَطَوَّرَت دِراسَةُ العَلاقَةِ بينَ اللَفظِ والمَعنى لِتُصبِحَ عِلمًا خاصًّا يُسَمّى عِلمَ (وَضع اللُغَة). ومَعنى الجَذرِ و-ض-ع في النِّقاشاتِ اللُغَوِيَّةِ هوَ نِسبَةُ مَعنًى إلى عُنصُرٍ كلامِيٍّ، وحينَ نُؤَوِّلُ (المَعنى) بِـ(المَعنى النَّحوِيّ) يُمكِنُ كذلكَ أَن نَقولَ إنَّهُ نِسبَةُ وَظيفَةٍ مُعَيَّنَةٍ إلى عُنصُرٍ كلامِيٍّ. وغالِبًا مّا يُقرَنُ هذا المُصطَلَحُ بِنَظريَّةِ الأَصلِ البَشَرِيِّ لِلُّغَةِ، أَي بِنَظريَّةِ أَنَّ اللُغَةَ نَتيجَةُ المُواضَعَةِ، أَي اتِّفاقِ النّاسِ، وهيَ مُرادِفَةٌ لِلاصطِلاحِ. فوَضعُ اللُغَةِ إذَن هوَ اختِراعُها، وبهذا المُصطَلَحِ يُشَدَّدُ عَلى الصِّفَةِ التَّواضُعِيَّةِ لِلُّغَةِ. وفي النَّظَرِيّاتِ التي تُفَرِّقُ بينَ مَراحِلَ مُختلِفَةٍ لاختِراعِ اللُغَةِ، نَجِدُ التَّفريقَ بينَ (الوَضع الأَوَّل) و(الوَضع الثّاني)[٢].

وفي الجَدَلِ المُتَعَلِّقِ بِأَصلِ اللُغَةِ كانَ (وَضعُ اللُغَةِ) يَعني (أَن يَضَعَ اللُغَةَ واضِعٌ)، لكِنَّهُ أَصبَحَ بِوَصفِهِ عِلمًا جَديدًا يَعني دِراسَةَ مُختَلِفِ طَرائقِ دَلالَةِ الكلِماتِ وَضعِيًّا على مَعانيها. وأَوَّلُ مَن أَلَّفَ في (وَضع اللُغَة) بِوَصفِهِ مَوضوعًا خاصًّا هوَ الأُصولِيُّ عَضُدُ الدِّينِ الإيجِيُّ (ت. ٧٥٦هـ)؛ ولَم يُقَرَّ عِلمًا مُستَقِلًّا إلّا لاحِقًا. ولَم يَكُن مُؤَلِّفو مُصَنَّفاتِ (وَضع اللُغَة) مَعنِيِّينَ بِالعَمَلِيَّةِ الفِعليَّةِ لِوَضعِ اللُغَةِ، بَل كانَ اهتِمامُهُم مُنصَبًّا على نَتيجَةِ هذا الوَضعِ التي تَتَجَلّى في مَعاني الأَلفاظِ اللُغَوِيَّةِ[٣].

وذَكَرَ فرستيخ أَنَّ (الوَضع) أَصبَحَ الفِكرَةَ المركزِيَّةَ في الاعتِباراتِ النَّظَرِيَّةِ لدى عُلَماءِ الفِقهِ، وأَنَّهُ فَقَد دَلالَتَهُ التّاريخِيَّةَ وباتَ يَعني الصِّفَةَ الثّابِتَةَ لِلُّغَةِ أَو مُواضَعَتَها التي كانَتْ كُلَّ ما احتاجَ إليهِ عُلَماءُ الفِقهِ في سَعيِهِم إلى استِنباطِ كُلِّ القَواعِدِ الفِقهِيَّةِ مِن النُّصوصِ بِمَناهِجَ مَرضِيَّةٍ، وأَنَّ مُواضَعَةَ اللُغَةِ كانَتْ قَد ارتَبَطَتْ بِالأَفكارِ الخاصَّةِ بِأَصلِ اللُغَةِ، بَيدَ أَنَّ البَحثَ في الشَّكلِ الدَّقيقِ لِذلكَ الأَصلِ لَم يَكُن واردًا؛ إذ لَم يَكُن الأُصولِيُّونَ لِيُعنَوا كثيرًا بِالتَّطَوُّرِ التّاريخِيِّ لِلُّغَةِ وأَصلِها بَل كانَ اهتِمامُهُم مُنصَبًّا على الصِّلَةِ بينَ الكلِماتِ ودَلالاتِها مِن أَجلِ مَعرِفَةِ الأَحكامِ التي جاءَ بِها القُرآنُ والسُّنَّةُ وبِناءِ استِنباطِهِم لِلقَواعِدِ الفِقهِيَّةِ على أُسُسٍ نَظَرِيَّةٍ ثابِتَةٍ. ذلِكَ بِأَنَّ المسأَلَةَ الجَوهرِيَّةَ في مُناقَشَةِ (وَضع اللُغَة) هيَ شَرعَنَةُ اللُغَةِ القائمَةِ، التي يُقصَدُ بِها نَقلُ العِلمِ بِمَعاني الكلِماتِ (التَّواتُر)، أَي كَيفِيَّة عِلمِنا بِمَدى دَلالَةِ الكلِماتِ عَلى ما تَدُلُّ عليهِ. إذ عامَلَ الأُصولِيُّونَ هذا المَنقولَ كما عامَلَ المُحَدِّثونَ المَنقولَ مِن حَديثِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ، مِن حَيثُ سَلامَةُ نَقلِهِ. ولِشَرعَنَةِ اللُغَةِ تاريخٌ طَويلٌ لَدى اللُغَوِيِّينَ، إذ لَم يَكُنْ بِوُسعِهِم أَن يَكتَفوا بِإيرادِ بَيتٍ لِشاعِرٍ واحِدٍ أَو قَولِ راوٍ واحِدٍ في تَثبيتِ مَعنى كلِمَةٍ مُعَيَّنَةٍ، مِثلَما لَم يَكُنْ بِوُسعِ المُحَدِّثِينَ أَن يَكتَفوا بِروايَةِ راوٍ واحِدٍ لِحَديثٍ مُعَيَّنٍ[٤].

---

(١) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, pp. 271-272.

(٢) يُنظَر: Versteegh, Kees, "The Arabic terminology of syntactic position", p. 11.

(٣) يُنظَر: Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, p. 272-273.

(٤) يُنظَر: فيرستيج، كيس، **أَعلامُ الفِكرِ اللُغَوِيِّ (الجُزءُ الثّالِث): التَّقليدُ اللُغَوِيُّ العَرَبِيّ**: ١٨٩-١٩٣، و Versteegh, Kees, *Landmarks in Linguistic Thought III: The Arabic Linguistic Tradition*, pp. 96-98.

خاتِمَة

تَبَيَّنَ لَنا مِمّا سَبَقَ أَنَّ المُستَشرِقَ الهولَندِيَّ كيس فرستيخ حازَ رُؤيَةً مُتَكامِلَةً لِما زَخَرَ بِهِ المَوروثُ العَرَبِيُّ مِن مَباحِثَ دَلالِيَّةٍ لا يُعوِزُها سِوى إطارٍ نَظَرِيٍّ تَنتَظِمُ فيهِ لِتُشَكِّلَ عِلمَ دَلالَةٍ عَرَبِيًّا لَهُ خَصائصُ وطَرائقُ تَحليلٍ تُمَيِّزُهُ مِن سائرِ نَظائرِهِ في المَوروثاتِ الأُخرى. إذ اتَّخَذَتْ مُقارَبَةُ فرستيخ لِعِلمِ الدَّلالَةِ العَرَبِيِّ (المَعنى) مُنطَلَقًا لَها، فطَفِقَت تَستَقري مَصاديقَهُ في مُختَلِفِ فُروعِ العِلمِ في المَوروثِ العَرَبِيِّ، فكانَ أَن وَقَفَ عَلى تَجَلِّياتٍ لَهُ تَنَوَّعَتْ بِتَنَوُّعِ بيئاتِ تِلكَ الفُروعِ وإملاءاتِها؛ فمِن تَجَلٍّ لَهُ في صورَةِ قَصدِ المُتَكَلِّمِ في كِتاباتِ مُفَسِّرِي القُرآنِ الأَوائلِ؛ وتَمَظهُرٍ لَهُ في شَكلِ المَعنى المُعجَمِيِّ عِندَ اللُغَوِيِّينَ والمَعنى الوَظيفِيِّ عَلى نَحوٍ أَساسِيٍّ عِندَ النَّحوِيِّينَ؛ وتَحَقُّقٍ لَهُ في مَعاني الكَلامِ عِندَ البَلاغِيِّينَ والمَناطِقَةِ؛ واتِّخاذٍ لَهُ صورَةَ ما يُختَرَعُ مِن أَجلِهِ اللَفظُ في وَضعِ اللُغَةِ عِندَ الأُصولِيِّينَ. وقَد كانَ لِكُلِّ تَجَلٍّ مِن تَجَلِّياتِ المَعنى تِلكَ آلِيّاتُ تَناوُلٍ وطَرائقُ تَحليلٍ كشَفَتْ عَن أَصالَةِ مُقارَبَةِ فرستيخ لِمَباحِثِ عِلمِ الدَّلالَةِ في الموروثِ العربيِّ، بِما يُرَشِّحُهُ لِيَكونَ أَنضَجَ المُستَشرِقِينَ رُؤيَةً وأَشمَلَهُم مَنظورًا في هذا المَجالِ.

المَصادرُ والمراجع

١. المَصادرُ العَرَبيَّة

- **القُرآنُ الكَريم**.

- ابنُ الجَزريّ، أَبو الخَيرِ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّد (ت.٨٣٣هـ). **النَّشر في القِراءاتِ العَشر**. تَصحيحُ عليّ محمَّد الضَّبّاع، القاهرة: المكتبة التِّجاريَّة الكبرى، د.ط.، د.ت.

- ابنُ جِنّي، أَبو الفَتحِ عُثمان (ت. ٣٩٢هـ). **الخَصائص**. تحقيق: محمَّد علي النَّجّار، بيروت: دار الهدى، ط٢، د.ت.

- ابنُ السَّرّاج، أَبو بَكرِ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سَهل (ت. ٣١٦هـ). **الأُصولُ في النَّحو**. تحقيق: الدُّكتور عبد الحسين الفتلي، بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط٤، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- ابنُ سينا، أَبو عَلِيّ (ت. ٤٢٨هـ):

١. **الإشاراتُ والتَّنبيهات مَعَ شَرحِ نَصيرِ الدِّينِ الطُّوسيّ**. تحقيق: الدُّكتور سليمان دنيا، القاهرة: دار المعارف، ط٣، د.ت.

٢. **الشِّفاء: المَنطِق (١- المدخَل)**. تَحقيق: الأَب قنواتي ومحمود الخضيري وفؤاد الإهواني، القاهرة: وزارة المعارف العموميَّة، د.ط.، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م.

- ابنُ فارِس، أَبو الحُسَينِ أَحمَدُ بنُ فارِسِ بنِ زَكَرِيّا (ت. ٣٩٥هـ):

١. **الصّاحِبيُّ في فِقهِ اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ وسَنَنِ العَرَبِ في كَلامِها**. تحقيق: السَّيِّد أَحمد صقر. القاهرة: الهيئة العامَّة لقصور الثَّقافة، ط١، ٢٠٠٣م.

٢. **مُعجَمُ مَقاييسِ اللُّغَة**. تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٩٢هـ.

- أَبو عُبَيدَةَ، مَعمَرُ بنُ المُثَنّى التَّيمِيّ (ت. ٢١٠هـ). **مَجازُ القُرآن**. تحقيق: الدُّكتور محمَّد فؤاد سزكين، القاهرة: مكتبة الخانجيّ، د.ط.، د.ت.

- الأَزهَرِيُّ، أَبو مَنصور مُحَمَّدُ بنُ أَحمَد (ت. ٣٧٠هـ). **تَهذيبُ اللُّغَة**. تحقيق: محمَّد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التُّراث العربيّ، ط١، ٢٠٠١م.

- بِشر، الدُّكتور كمال محمَّد. **دِراساتٌ في عِلمِ اللُّغَة (القِسمُ الأَوَّل)**. القاهرة: دار المعارف، د.ط.، ١٩٧١م.

- التَّوحيدِيُّ، أَبو حَيّان (ت. ٤١٤هـ). **الإمتاعُ والمُؤانَسَة**. تحقيق: أَحمد أَمين وأَحمد الزّين، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ط.، د.ت.

- الجاحِظ، عَمرو بنُ بَحر (ت. ٢٥٥هـ). **الحَيَوان**. بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط٢، ١٤٢٤هـ.

- الزَّجّاجيُّ، أَبو القاسِم (ت. ٣٣٧هـ). **الإيضاحُ في عِلَلِ النَّحو**. تحقيق: الدُّكتور مازن المبارك، بيروت: دار النَّفائس، ط٢، ١٣٩٣ه/١٩٧٣م.

- الزَّمَخشَرِيُّ، أَبو القاسِمِ جارُ اللهِ مَحمودُ بنُ عُمَر (ت. ٥٣٨هـ). **المُفَصَّلُ في صَنعَةِ الإعراب**. تحقيق: الدُّكتور إميل بديع يعقوب. بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٤٢٠ه/١٩٩٩م.

- زَيدُ بنُ عَلِيّ (ت. ١٢٢هـ). **تَفسيرُ غَريبِ القُرآنِ المَجيد**. تحقيق: الدُّكتور محمَّد يوسف الدِّين، الهند: مؤسَّسة تاج يوسف، ط١، ٢٠٠١م.

- السُّدِّيُّ الكبير، أَبو مُحَمَّد إسماعيلُ بنُ عَبدِ الرَّحمن (ت. ١٢٨هـ). **تَفسيرُ السُّدِّيِّ الكَبير**. تحقيق: الدُّكتور محمَّد عطا يوسف، المنصورة: دار الوفاء، ط١، ١٤١٤ه/١٩٩٣م.

- السَّكّاكِيُّ، أَبو يَعقوبَ يوسُفُ بنُ أَبي بَكر (ت. ٦٢٦هـ). **مِفتاحُ العُلوم**. تحقيق: نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط٢، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م.

- سيبَوَيْهِ، أَبو بِشرٍ عَمرو بنُ عُثمانَ بنِ قَنبَر (ت. ١٨٠هـ). **الكِتاب**. تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨ه/١٩٨٨م.

- الصَّنعانِيُّ، عَبدُ الرَّزّاقِ بنُ هَمّام (ت. ٢١١هـ). **تَفسيرُ عَبدِ الرَّزّاق**. تحقيق: الدُّكتور محمود محمَّد عبده، بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط١، ١٤١٩ه/١٩٩٩م.

- الضَّحّاكُ بنُ مُزاحِم (ت. ١٠٥هـ). **تَفسيرُ الضَّحّاك**. تحقيق: الدُّكتور محمَّد شكري أَحمد الزّاويتي، القاهرة: دار السَّلام، ط١، ١٤١٩ه/١٩٩٩م.

- الفارابِيُّ، أَبو نَصر (ت. ٣٣٩هـ):

١. **إحصاءُ العُلوم**. تحقيق: عثمان محمَّد أَمين، القاهرة: مطبعة السَّعادة، د.ط.، ١٣٥٠ه/١٩٣١م.

٢. **كِتابُ الحُروف**. تحقيق: الدُّكتور محسن مهدي، بيروت: دار المشرق، د.ط.، ١٩٧٠م.

٣. **كِتابٌ في المَنطِق (العِبارَة)**. تحقيق: الدُّكتور محمَّد سليم سالم، القاهرة: الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، د.ط.، ١٩٧٦م.

- فيرستيج، كيس. **أَعلامُ الفِكرِ اللُّغَوِيِّ (الجُزءُ الثّالِث): التَّقليدُ اللُّغَوِيُّ العَرَبِيّ**. ترجمة: الدُّكتور أَحمد شاكر الكلابي، بيروت: دار الكتاب الجديد المتَّحدة، ط١، ٢٠٠٧م.

- مُقاتِلُ بنُ سُلَيمان (ت. ١٥٠هـ). **تَفسيرُ مُقاتِلِ بنِ سُلَيمان**. تحقيق: الدُّكتور عبد الله محمود شحاتة، بيروت: مؤسَّسة التّاريخ العربيّ، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- ياقوت، الدُّكتور أَحمَد سُلَيمان. **ظاهِرَةُ الإعرابِ في النَّحوِ العَرَبِيِّ وتَطبيقُها في القُرآنِ الكَريم**. الرِّياض: عمادة شؤون المكتبات - جامعة الرِّياض، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢. المَصادِرُ الإنجليزِيَّة

- Matthews, P. H., *The Concise Oxford Dictionary of Linguistics*, Oxford University Press, Third edition, 2014.

- Versteegh, Kees:

1. «The Arabic terminology of syntactic position». *Arabica* 25 (1978) 261-281.
2. «A dissenting grammarian: Quṭrub on declension». *Historiographia Linguistica* 8 (1981) 403-429.
3. «A sociological view of the Arab grammatical tradition: Grammarians and their professions», in *Studia linguistica et orientalia memoriae Haim Blanc dedicata*, ed. by Paul Wexler, Alexander Borg, and Sasson Somekh, 289-302. Wiesbaden: O. Harrassowitz, 1989.
4. «Grammar and Exegesis: The origins of Kufan Grammar and the *Tafsīr Muqātil*». *Der Islam 67* (1990) 206-242.
5. *Arabic grammar and* Qurʾānic *exegesis in early Islam*. (*Studies in Semitic Languages and Linguistics*, 19.) Leiden: E.J. Brill, 1993.
6. *The explanation of* linguistic *causes: Az-Zaǧǧāǧī's theory of grammar, introduction, translation and commentary*. (*Studies in the History of the Language Sciences*, 75.) Amsterdam and Philadelphia: J. Benjamins, 1995.
7. «The linguistic introduction to Rāzī's *Tafsīr*», in *Studies in Near Eastern Languages and Literatures: Memorial Volume of Karel Petráček*, ed. By Peter Zemánek, 589-603, Prague: Academy of Sciences of the Czech Republic, 1996.
8. *Landmarks in* Linguistic *Thought III: The Arabic Linguistic Tradition*, Routledge, 1997.
9. «Ibn aš-Šajarī, *Mā ttafaqa* lafẓuhu *wa-ḫtalafa maʿnāhu*, Ed. by Attia Rizk. Beirut and Stuttgart: F. Steiner, 1992». *Der Islam* (1999) 184-186.
10. «Zaid ibn Alī's commentary on the *Qurān*», in *Arabic Grammar and Linguistics*, ed. By Yasir Suleiman, 9-29, London: Curzon Press, 1999.

11. «Meanings of speech: The category of sentential mood in Arabic grammar», in *Le voyage et la langue: Mélanges en l'honneur Louca et d'André Roman*, ed. By Joseph Dichy and Hassan Hamzé, 269-287, Damascus: Intitut francais du Proche-Orient, 2004.

12. «The study of the non-Western linguistic traditions», in *Handbuch für die Geschichte der Sprachund Kommunikationswissenschaft*, III, ed. by Sylvain Auroux, Konrad Koerner, Hans-Josef Niederehe and Kees Versteegh, 2791-2802. Berlin and New York: Mouton de Gruyter, 2006.

13. «Farabi, Abu Nasr Muhammad ibn Muhammad al-», in *Lexicon grammaticorum*, ed. by Harro Stammerjohann, I, 449-450. 2nd ed. Tübingen: Niemeyer, 2009.

14. «The name of ant and the call to holy war: al-Ḍaḥḥāk ibn Muzāḥim's commentary on the Quran», in *Transmission and dynamics of the textual sources of Islam: A collection of studies presented to Harald Motzki*, ed. by Nicolet Boekhoff-van der Voort, Kees Versteegh, and Joas Wagemakers, 279-299, Leiden: E.J. Brill, 2011.

15. «In search of meaning: Lexical explanations in the earliest Qurʾānic commentaries», in *Meaning of the word: Lexicology and tafsir*, ed. by Stephen Burge, 43-66. Oxford: Oxford University Press and Institute for Ismaʿili Studies, 2015.

- Versteegh, Kees with Wout van Bekkum, Jan Houben, and Ineke Sluiter, *The Emergence of Semantics in Four Linguistic Traditions: Hebrew, Sanscrit, Greek, Arabic*, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia, 1997.

- Wansbrough, John, *Quranic Studies: Sources and Methods of Scriptural Interpretation*, Prometheus Books, Amherst, New York, 2004.

(Arabic semantics) according to the Dutch orientalist Kees Versteegh

Abstract

Early scholars of Arabic occupied themselves with the meanings of speech and the significations of the texts. However, their ideas were not framed by a clear systematic framework. Rather, they were scattered in the works of exegetes, lexicographers, grammarians, and scholars of the science of the principles of law. This may well be the normal result of the development logic of sciences. It is well known that one of the most important merits of the Western modern and contemporary linguistic studies has been the creation of systematic frameworks within which the elements of a field of knowledge that were previously distributed in different disciplines of the same field or in various parallel fields gather and gain uniformity.

As the Dutch orientalist Kees Versteegh is the most prominent Western linguist in exploring and investigating a comprehensive referential frame that deals with the theses of meaning in all Arabic tradition sources and sciences, according to data emanating from pure Arabic and Islamic ground, not according to Western data dictated by a linguistic nature different from the nature of Arabic, I thought it suitable to introduce this research paper in order to shed light on his perspective of Arabic semantics and reveal the tools that helped him to do so, by pursuing the whole of his relevant writings, of which only very few have been translated into Arabic. And God is the one who provides success.